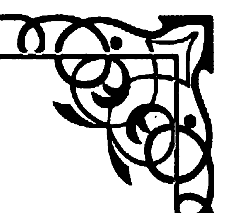
جهود الإمام الشافعي

وتلامذته وأئمة مذهبه
في نصرة عقيدة السلف الصالح
ورجوع بعضهم إليها في آخر أمره

تأليف

نعمان بن عبد الكريم الوتر



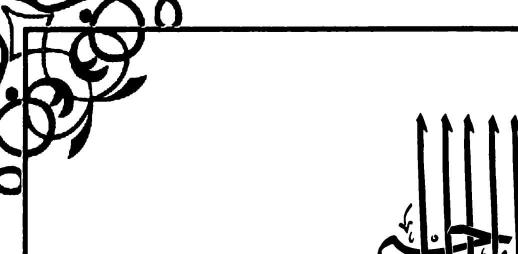
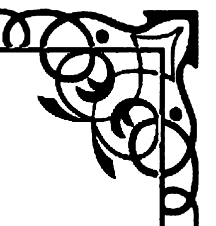
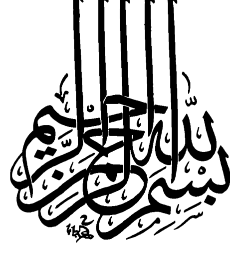


جهودُ الإمامِ الشّافعيِّ وتلامذتهِ وأئمةِ مذهبهِ
في نصرةِ عقيدةِ السّلفِ الصالحِ
ورجوع بعضهم إليها في آخر أمره

تأليف

نعمان بن عبد الكريم الوتر



الطبعة الثالثة

رقم الإيداع: ١١٥١٢ / ٢٠٢٢



81 ش الهدي المحمدي - متفرع من شارع أحمد عرابي - مساكن عين شمس

القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: 00201007610099 - 00201140110099

البريد الإلكتروني:

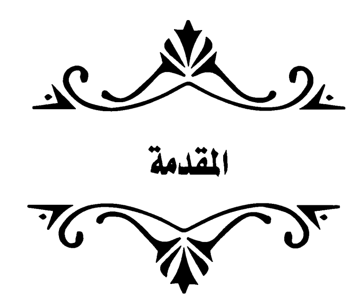
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_sabilelmomnen@hotmail.com





رب يسر وأعن يا كريم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا كتابي (**جهود الإمام الشافعي وتلاميذه وأئمة مذهبه في نصرة عقيدة السلف الصالح**)؛ ليعلم من وقف عليه أمورًا:






١) أن الإمام الشافعي وتلاميذه كانوا سائرين علىٰ عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

٢) أن عددًا كبيرًا يعسر حصرهم كانوا علىٰ تلك العقيدة الصحيحة المبنية علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣) أن عقيدة أهل الحق مع اختلاف أعصارهم وأمصارهم واحدة؛ لأن مشربهم واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

بخلاف أهل البدع والأهواء الذين يبدِّع بعضهم بعضًا ويكفِّر بعضهم بعضًا، وهذا من علامة أهل الباطل، فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب.

٤) بطلان دعوىٰ من زعم أن العقيدة السلفية هي عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض تلاميذه والشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل هؤلاء من جملة علماء المسلمين الذين ساروا علىٰ ما سار عليه أئمة الإسلام من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ومنهم الأئمة الأربعة وابن المبارك وابن عيينة والثوري والأوزاعي والفضيل بن عياض، وغيرهم من أئمة الإسلام.

٥) أن الذين بنوا عقيدتهم علىٰ علم الكلام ضلوا وأضلوا، ولم يجنوا إلا الحيرة والتناقض والندم، وذلك جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والموفَّق منهم من تاب في آخر عمره ومات علىٰ عقيدة جدته وأمه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

٦) تناقض من انتسب إلىٰ أئمة الإسلام في الفقه وخالفهم في العقيدة، وقد





استنكر هذا علماء الإسلام.

فقد قال الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الانتصار لأصحاب الحديث» ص (٩- ١٠) بعد أن ذكر جملًا من كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنة وذم الكلام: فهذا كلام الشافعي في ذم الكلام والحث علىٰ السُّنَّة، وهو الإمام الذي لا يجارىٰ والفحل الذي لا يقاوم، فلو جاز الرجوع إليه وطلب الدين من طريقه؛ لكان بالترغيب فيه أولىٰ من الزجر عنه، وبالندب إليه أولىٰ من النهي عنه، فلا ينبغي لأحد أن ينصر مذهبه في الفروع ثم يرغب عن طريقته في الأصول. انتهىٰ.

وقال الإمام أبو الحسن الكرجي: ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلىٰ الأشعري، ويتبرءون مما بنىٰ الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه. انتهىٰ «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٩٦).

وقال الإمام الكرجي كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٧٧): فمن قال: أنا شافعي الشرع، أشعري الاعتقاد؛ قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد[1]؛ إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد، ومن قال: أنا حنبلي في الفروع، معتزلي في الأصول؛ قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه؛ إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد. انتهىٰ.

وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما نترك أمير المؤمنين علي بن أبي



(١) ليس المراد به الارتداد عن الدين، بل المراد: المخالفة بعد المتابعة؛ فالارتداد في اللغة يأتي بمعنىٰ الرجوع والتحول.

طالب مع الرافضة، نحن أحق به منهم؛ لأنه منا ونحن منه، ولا نترك الشافعي مع الأشعرية؛ فإنا أحق به منهم. انتهىٰ «ذيل طبقات الحنابلة» للحافظ ابن رجب (٢/ ١٥٦).

وقال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المنتظم» في حوادث سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة (١٨/ ٣١):

قدم مع السلطان فقيه كبير القدر اسمه الحسن بن أبي بكر النيسابوري، وكان من أصحاب أبي حنيفة، وكانت له معرفة حسنة باللغة، وفهم جيد في المناظرة، وجالسته مدة، وسمعت مجالسه كثيرًا؛ فجلس بجامع القصر، وجامع المنصور، وأظهر السنَّة... وكان يقول: كن شافعيًّا ولا تكن أشعريًّا، وكن حنفيًّا ولا تكن معتزليًّا، وكن حنبليًّا ولا تكن مشبِّهًا، ولكن ما رأيت أعجب من أصحاب الشافعي يتركون الأصل ويتعلقون بالفرع. انتهىٰ.

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف) (ص ٦):

وفي زماننا يتعيَّن كتابة كلام أئمة السلف المقتدىٰ بهم إلىٰ زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان علىٰ حذر مما حدث بعدهم؛ فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلىٰ متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفةً لها؛ لشذوذه عن الأئمة، وانفراده عنهم بفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله.

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة؛ فشرٌّ محض، وقَل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطَّخ ببعض أوضارهم، كما قال أحمد: لا




يخلو من نظر في الكلام من أن يتجهم. وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة. انتهىٰ.

٧) ترجمتُ لعدد من أئمة الشافعية الذين زلت أقدامهم وابتلوا بعلم الكلام، ثم مَنَّ الله عليهم في آخر أمرهم ورجعوا إلىٰ عقيدة السلف الصالح التي كان عليها الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأقروا أن علم الكلام لا يورث إلا الحيرة والندم، وأن الجهل خير منه.

٨) أجبتُ علىٰ شبهة من يقول: إن أكثر علماء الأُمَّة وعوامهم أشاعرة.

٩) بيَّنتُ أنه لا تصح نسبة كتاب «جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحرف والصوت» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أسأل الله العظيم الكريم البر الرحيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي ولعباده في الدنيا ويوم الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين.







من أين يؤخذ الاعتقاد؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٠٣): ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة.

يؤخذ من كتاب الله تعالىٰ، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة. انتهىٰ.

السُّنَّة كسفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٦٢٣): وكان السلف - كمالك وغيره - يقولون: السُّنَّة كسفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

وقال الزهري: كان من مضىٰ من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة.

إذا عرف هذا فمعلوم أن ما يهدي الله به الضالين، ويرشد به الغاوين، ويتوب به علىٰ العاصين؛ لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك؛ لكان دين الرسول ناقصًا محتاجًا تتمة. انتهىٰ.



إنما علا قدر أئمة الإسلام باتباعهم للسنة والحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١١): وكذلك الشافعي وإسحاق وغيرهما إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث





والسنَّة. وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك، وكذلك مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وغيرهم إنما نبلوا في عموم الأمة وقُبِل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنَّة. انتهىٰ.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحفظ دينه بمن يشاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢١٥):

ولو لم يُخلق البخاري ومسلم لم يُنقص من الدين شيء، وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود وفوق المقصود. انتهىٰ.

لا عيب على الأئمة وأتباعهم في الانتساب إلى مذهب السلف الصالح، وإنما العيب في الانتساب إلى مذاهب الخلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٤٩):

لا عيب علىٰ من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزىٰ إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا. انتهىٰ.

شعار أهل البدع ترك انتحال مذهب السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٥٥):

فعلم أن شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ. انتهىٰ.

نصرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعقيدة السلف.

المتأمل في كلام الإمام الشافعي في كتبه، وما رواه عنه تلاميذه في هذا الباب؛ يلاحظ ما يلي:







١) تعظيم الإمام الشافعي للكتاب والسنة، وأنهما منهج التلقي والاستدلال عنده، ومن أحسن كلامه المنسوب إليه في هذا الباب: ما جاء عن الربيع بن سليمان قال: سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات من صفات الله تعالىٰ، فقال: حرام علىٰ العقول أن تمثِّل الله تعالىٰ، وعلىٰ الأوهام أن تحده، وعلىٰ الظنون أن تقطع، وعلىٰ النفوس أن تفكر، وعلىٰ الضمائر أن تعمق، وعلىٰ الخواطر أن تحيط، وعلىٰ العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسَه في كتابه أو علىٰ لسان نبيِّه صلى الله عليه وسلم[1].

٢) جعل الكتاب والسنة الأصل في هذا الباب، ثم قرر أن الأصل لا يقال له: لِمَ؟ ولا: كيف؟

٣) قرر وجوبَ الأخذ بالسنَّة إذا صحت، ولو كانت آحادًا، سواء كانت مبينة للقرآن، أو موافقة له، أو زائدة عليه.

٤) ذمه الشديد للبدع والمحدثات عمومًا، وفي أبواب الاعتقاد خصوصًا.

٥) ذمه الشديد للكلام وأهله؛ لعلمه بما أحدثه الكلام من الفتن المضلة في هذا الباب.

٦) ذمه للخوض مع أهل الأهواء في خصومات وجدل.

٧) تعظيمه للصحابة والقرابة، وشدة محبته لهم والسير علىٰ طريقهم.

وقد بينت هذا كله وغيره - ولله الحمد والمنة - في كتابي: (**عقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما دونها في كتبه أو رواها عنه تلاميذه**).

وها أنا ذا أبيِّن جانبًا مشرقًا من نصرة تلاميذه وكثير من أئمة مذهبه لعقيدة

(١) «ذم التأويل» للإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص ٢٣.







سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

تراجم مختصرة لبعض كبار علماء الشافعية

من تلاميذ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلاميذ تلاميذه، وأئمة مذهبه السائرين علىٰ عقيدة السلف الصالح المناصرين لها[1].

وسأحرص علىٰ نقل شيء من تراجمهم من كتب علماء الشافعية.

الأول: الإمام الكبير أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفىٰ سنة ٢١٩ هـ.

له كتاب في العقيدة بعنوان (السنة)، نصر فيه عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات والرؤية والقدر والقرآن والإيمان والصحابة وغير ذلك، وهذه الرسالة جعلها الإمام الحميدي في آخر كتابه الكبير المشهور المسند، وقد اشتهرت بين العلماء قديمًا وحديثًا.

قال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«طبقات الشافعيين» (١/ ١٣٩)**: صاحب الشافعي ورفيقه في الرحلة إلىٰ الديار المصرية، ونزيله وتلميذه بعد أن كان منحرفًا عليه، فمال إليه واستفاد منه... ورحل مع الشافعي إلىٰ مصر، ولزمه حتىٰ مات الشافعي، ثم رجع إلىٰ مكة، وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: ما رأيت أنصح للإسلام وأهله من الحميدي. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٦)**: الإمام، الحافظ، الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي، الأسدي، الحميدي،



(١) ذكرت في تراجمهم أهم الكتب التي ألفوها في باب الاعتقاد والفقه؛ ليعلم القارئ الكريم أنهم علىٰ طريقة السلف اعتقادًا وفقهًا.

المكي، صاحب المسند.

حدث عن: إبراهيم بن سعد، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة فأكثر عنه وجوَّد... ووكيع، والشافعي، وليس هو بالمكثر، ولكن له جلالة في الإسلام...

وقال يعقوب الفسوي: حدثنا الحميدي وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه. انتهىٰ.

وقال ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» (١/ ٦٦): الإمام أبو بكر الحميدي المكي صاحب الشافعي ورفيقه في الرحلة إلىٰ الديار المصرية، وقد أخذ عن شيوخ الشافعي، وقال يعقوب بن سفيان: ما رأيت أنصح للإسلام وأهله منه.

وقال الحاكم: الحميدي مفتي أهل مكة ومحدثهم لأهل الحجاز في السنة، كأحمد بن حنبل لأهل العراق. انتهىٰ.

الثاني: الإمام الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحيىٰ القرشي البويطي، أعلم تلاميذ الشافعي وخليفته في حلقته، توفي مسجونًا في بغداد ممتنعًا عن القول بخلق القرآن سنة ٢٣١ هـ.

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٨- ٥٩): الإمام، العلامة، سيد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيىٰ المصري، البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وَفَاق الأقران... وكان إمامًا في العلم، قدوة في العمل، زاهدًا ربانيًّا، متهجدًا، دائم الذكر والعكوف علىٰ الفقه.

بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي.

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي أبدًا يحرك شفتيه بذكر الله، وما




أبصرتُ أحدًا أنزع بحُجَّة من كتاب الله من البويطي! ولقد رأيته علىٰ بَغْل، في عنقه غُل، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لَبِنة وزنها أربعون رطلًا، وهو يقول: إنما خَلَق الله الخَلق بـ(كن)، فإذا كانت مخلوقة، فكَأنَّ مخلوقًا خُلق بمخلوق، ولئن أُدخلتُ عليه لأصدُقَنَّه - يعني الواثق - ولأموتَن في حديدي هذا حتىٰ يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم. انتهىٰ.

وقال فيه الإمام الحافظ **أبو عمرو بن الصلاح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢/ ٦٨١): قال أبو سعيد حفيد يونس في «كتابه»: كان متقشفًا، حُمل من مصر في أيام الفتنة والمحنة بالقرآن إلىٰ العراق مع من حمل من مشايخ أهل مصر، فأرادوه علىٰ الفتنة فامتنع، فسُجن ببغداد، وقيد، وكان مسجونًا إلىٰ أن توفي في السجن والقيد ببغداد، وقد كتب شيئًا كثيرًا. انتهىٰ.

وقال عنه ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» (١/ ٧١): أحد الأعلام من أصحاب الشافعي وأئمة الإسلام، قال الربيع: وكان له من الشافعي منزلة، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول: سل أبا يعقوب. فإذا أجاب أخبره، فيقول هو كما قال.

وربما جاء إلىٰ الشافعي رسول صاحب الشرطة، فيوجه الشافعي أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني. وخلف الشافعي في حلقته بعده، قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم منه. انتهىٰ.

وقال السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٢/ ١٦٢): كان إمامًا جليلًا عابدًا زاهدًا فقيهًا عظيمًا مناظرًا، جبلًا من جبال العلم والدين، غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم، غالب ليله التهجد والتلاوة، سريع الدمعة، تفقه







على الشافعي واختص بصحبته. انتهى.

الثالث: الإمام أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٠هـ.

ترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٩٨) بقوله: أبو ثور: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان، أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه الإمام العلامة.

أخذ الفقه عن الشافعي، وأحمد بن حنبل، وطبقتهما... وأثنى عليه غير واحد من الأئمة.

قال الإمام أحمد: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسلاخ سفيان الثوري.

وسُئل أحمد عن مسألةٍ فقال للسائل: سل عافاك الله غيرنا، سل الفقهاء، سل أبا ثور.

وقال النسائي: ثقة، مأمون، أحد الفقهاء.

وقال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا، وورعًا، وفضلًا، وديانة، وخيرًا، ممن صنف الكتب وفرع على المسائل، وذبَّ عن حريمها وقمع مخالفيها.

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي: كان أحد الثقات المأمونين، ومن الأئمة الأعلام في الدين، وله كتب مصنفة في الأحكام، جمع فيها بين الحديث والفقه. انتهى.

وترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٧٢) بقوله: الإمام،






الحافظ، الحجة، المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور الكلبي، البغدادي، الفقيه. انتهىٰ.

وترجم له السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٢/ ٧٤) بقوله: الإمام الجليل أحد أصحابنا البغداديين، قيل: كنيته أبو عبد الله، ولقبه أبو ثور. انتهىٰ.

الرابع: الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزني المصري، ناصر مذهب الشافعي وبدر سمائه، المتوفىٰ سنة ٢٦٤هـ، صاحب الكتاب العظيم (شرح السنة) الذي نصر فيه عقيدةَ السلف نصرًا مؤزرًا.

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٩٢-٤٩٥): الإمام، العلامة، فقيه الملة، عَلَم الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزني، المصري، تلميذ الشافعي... أخذ عنه خلق من العلماء، وبه انتشر مذهب الإمام الشافعي في الآفاق...

وامتلأت البلاد بـ(مختصره) في الفقه، وشَرَحَه عدة من الكبار، بحيث يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة بـ(مختصر) المزني...

وكان زاهدًا، عالمًا، مناظرًا، محجاجًا، غواصًا علىٰ المعاني الدقيقة، صنف كتبًا كثيرة: (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير)، و(المنثور)، و(المسائل المعتبرة)، و(الترغيب في العلم)، وكتاب (الوثائق)...

يقال: كان إذا فاتته صلاة الجماعة صلىٰ تلك الصلاة خمسًا وعشرين








مرة[1]، وكان يغسِّل الموتىٰ تعبدًا واحتسابًا، وهو القائل: تعانيت غسل الموتىٰ ليرق قلبي، فصار لي عادة. وهو الذي غَسَّل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انتهىٰ.

وقال عنه السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٢/ ٩٣): ناصر المذهب وبدر سمائه... قال الشافعي رَضِيَ عَنْهُ في وصفه: لو ناظره الشيطان لغلبه... وكان زاهدًا ورعًا متقللًا من الدنيا، مجاب الدعوة، وكان إذا فاتته صلاة في جماعة صلاها خمسًا وعشرين مرة، ويغسِّل الموتىٰ تعبدًا واحتسابًا، ويقول: أفعله ليرق قلبي.

قال أبو الفوارس السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان المزني والربيع رضيعين. انتهىٰ.

وقال عنه ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» (١/ ٥٨): الإمام صاحب التصانيف، أخذ عن الشافعي، وكان يقول: أنا خلق من أخلاق الشافعي، ذكره الشيخ أبو إسحاق أول أصحاب الشافعي، وقال: كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا مناظرًا محجاجًا غواصًا علىٰ المعاني الدقيقة، صنف كتبًا كثيرة.

قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. انتهىٰ.

الخامس: الإمام الكبير المحدث عثمان بن سعيد الدارمي، المتوفىٰ بين سنة ٢٧١- ٢٨٠هـ، صاحب الكتاب العظيم: (الرد علىٰ الجهمية)، و(الرد علىٰ بشر المريسي).

قال عنه الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٧٤- ٥٧٥): محدث هراة، وأحد الأعلام، طوَّف الأقاليم... وللدارمي كتاب في «الرد علىٰ

---

(١) فعل هذا تأديبًا لنفسه، وإلا فلا يُشرع تكرار المقضية. والله أعلم.






الجهمية»، سمعناه، وكتاب في «الرد علىٰ بشر المريسي»، سمعناه.

وكان جذعًا في أعين المبتدعين، وصنَّف مسندًا كبيرًا، وهو الذي قام علىٰ محمد بن كرام، وطرده من هراة، فيما قيل...

قال الحاكم: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد الوراق، سمعت أبا بكر الفسوي، سمعت عثمان بن سعيد الدارمي يقول: قال لي رجل ممن يحسدني: ماذا كنت لولا العلم؟

فقلت: أردت شينًا فصار زينًا، سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت أبا معاوية يقول: قال الأعمش: لولا العلم لكنت بقالًا. وأنا لولا العلم لكنت بزازًا من بزازي سجستان. انتهىٰ.

وقال عنه في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣١٩):

الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، صاحب (المسند) الكبير والتصانيف. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ١٧٧-١٧٨): محدث هراة، أحد الحفاظ والأعلام، أخذ الفقه عن أبي يعقوب البويطي...

وقال ابن عبدوس الطرائفي: لما أردت الخروج إلىٰ عثمان بن سعيد الدارمي، كتب لي ابن خزيمة إليه، ودخلت هراة في ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، فقرأ الكتاب، ورحب بي، وسأل عن ابن خزيمة، ثم قال: يا فتىٰ، متىٰ قدمت؟

قلت: غدًا، قال: يا بني فارجع اليوم، فإنك لم تقدم بعد، أو قال: فإنك بعد






في الطريق.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وللدارمي كتاب في الرد على الجهمية سمعناه، وكتاب في الرد على بشر المريسي سمعناه. قلت: ووقع لي سماعهما أيضًا، ولله الحمد والمنة.

قال الذهبي: وكان جذعًا في أعين المبتدعين، وصنف مسندًا كبيرًا، وهو الذي قام على محمد بن كرام، وطرده من هراة، فيما قيل. انتهى.

وقال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٠٢):

عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني الحافظ أبو سعيد الدارمي.

محدث هراة، وأحد الأعلام الثقات، ومن ذكره العبادي في الطبقات قائلًا: الإمام في الحديث والفقه، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي، والحديث عن يحيى بن معين.

قلت: كان الدارمي واسع الرحلة، طوف الأقاليم ولقي الكبار. انتهى.

السادس: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، المتوفى سنة ٢٩٤هـ، صاحب كتاب (السنة)، وكتاب (تعظيم قدر الصلاة)، وغيرها.

ترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٣- ٤٠) فقال: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ... كتب الكثير، وبرع في علوم الإسلام، وكان إمامًا مجتهدًا علامة، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، قَل أن ترى العيون مثله.






قال أبو بكر الخطيب: حدث عن عبدان بن عثمان، ثم سمَّىٰ جماعة وقال: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام.

قلت: يقال: إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء علىٰ الإطلاق... وقال أبو بكر الصبغي: أدركت إمامين لم أرزق السماع منهما: أبو حاتم الرازي، ومحمد بن نصر المروزي؛ فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاةً منه، لقد بلغني أن زنبورًا قعد علىٰ جبهته، فسال الدم علىٰ وجهه ولم يتحرك.

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع علىٰ أذنه، فيسيل الدم، ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة، كان يضع ذقنه علىٰ صدره، فينتصب كأنه خشبة منصوبة.

قال: وكان من أحسن الناس خَلقًا، كأنما فقئ في وجهه حب الرمان، وعلىٰ خديه كالورد، ولحيته بيضاء.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده في مسألة الإيمان: صرح محمد بن نصر في كتاب (الإيمان) بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقرار، والشهادة، وقراءة القرآن بلفظه؛ مخلوق.

ثم قال: وهجره علىٰ ذلك علماء وقته، وخالفه أئمة خراسان والعراق.

قلت: الخوض في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفظ بالقرآن غير مخلوق؛ فإن الله خلق العبادَ وأعمالهم، والإيمان: فقول وعمل، والقراءة والتلفظ: من كسب القارئ، والمقروء الملفوظ: هو كلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غير مخلوق، وكذلك كلمة الإيمان،







وهي قول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلم بها من فعلنا، وأفعالنا مخلوقة. ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له، قمنا عليه وبدعناه وهجرناه؛ لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلىٰ الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوىٰ والفظاظة.

قال أبو محمد بن حزم في بعض تواليفه: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه.

قال: وما نعلم هذه الصفة - بعد الصحابة - أتم منها في محمد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر؛ لما أبعد عن الصدق.

قلت: هذه السعة والإحاطة ما ادعاها ابن حزم لابن نصر إلا بعد إمعان النظر في جماعة تصانيف لابن نصر، ويمكن ادعاء ذلك لمثل أحمد بن حنبل ونظرائه، والله أعلم. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٠٤٨): وقال السليماني: محمد بن نصر إمام الأئمة، الموفق من السماء، سكن سمرقند. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الفقهاء الشافعية» (١/ ٢٧٧) بقوله: أبو عبد الله الإمام المروزي، صاحب التصانيف الجمة، أحد من استبحر في علمي الفقه والحديث، وجمع بين فضيلتي الإمامة والديانة.







وهو صاحب اختيار، وربما تذرع متذرع بكثرة اختياراته المخالفة لمذهب الشافعي إلىٰ الإنكار علىٰ الجماعة العادِّين له في أصحابنا، وليس الأمر كذلك؛ لأنه في هذا بمنزلة ابن خزيمة، والمزني، وأبي ثور قبله، وغيرهم؛ فلقد كثرت اختياراتهم المخالفة لمذهب الشافعي، ثم لم يخرجهم ذلك عن أن يكونوا في قبيل أصحاب الشافعي معدودين، وبوصف الاعتزاء إليه موصوفين. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ١٨٤) بقوله:

محمد بن نصر الإمام أبو عبد الله المروزي، أحد الأئمة الأعلام...

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (١٨٦): قال أبو عبد الله بن منده في مسألة الإيمان: صرح محمد بن نصر في كتاب الإيمان بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقرار، والشهادة، وقراءة القرآن بلفظه؛ مخلوقة، وهجره علىٰ ذلك علماء وقته، وخالفه أئمة خراسان والعراق.

قلت: وهذا الذي صرح به محمد بن نصر، في أن لفظ العبد بالقرآن مخلوق؛ صرح به البخاري وغيره من الأئمة، محتجين بقوله ﷺ: **«زينوا القرآن بأصواتكم»**؛ فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، وإنما كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشدد في هذا لحسم مادة القول بخلق القرآن، وتبعه علىٰ ذلك جماعة من أئمة الحديث، والله أعلم. انتهىٰ.

وقال عنه السبكي في «طبقات الشافعية» (٢/ ٢٤٦- ٢٤٧): محمد بن نصر المروزي الإمام الجليل أبو عبد الله، أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها... قال الحاكم: هو الفقيه العابد العالم، إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة.






وقال الخطيب: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام.

وقال ابن حزم في بعض تآليفه: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر؛ لما بَعُد عن الصدق.

وقال أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي: كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون: رجال خراسان أربعة: ابن المبارك، ويحيىٰ بن يحيىٰ، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن نصر المروزي.

وقال أبو بكر الصيرفي: لو لم يصنِّف المروزي إلا كتاب (القسامة) لكان من أفقه الناس، فكيف وقد صنَّف كتبًا سواها.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: صنَّف محمد هذا كتبًا ضمنها الآثار والفقه، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام. انتهىٰ.



السابع: الإمام العلامة أبو العباس ابن سريج أحمد بن عمر البغدادي، الملقب بالباز الأشهب، توفي سنة ٣٠٦ هـ.

له رسالة عظيمة في السنة، ساقها العلامة ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٧٠- ١٧٤).

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٠١-






٢٠٣): الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقين، أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات... صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشافعي ببغداد، وتخرج به الأصحاب...

وقال أبو الوليد الفقيه: سمعت ابن سريج يقول: قَل ما رأيت من المتفقهة من اشتغل بالكلام فأفلح، يفوته الفقه ولا يصل إلىٰ معرفة الكلام. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ١٩٣): حامل لواء الشافعية في زمانه، وناشر مذهب الشافعي، كان يقال له: الباز الأشهب، تفقه بأبي القاسم الأنماطي، وأخذ عنه الفقه خلق كثير من الأئمة، وصنف في المذهب ولخَّصَه، ويقال: إن فهرست كتبه تشتمل علىٰ أربع مائة مصنف، ورد علىٰ من خالف السنن، وكان علىٰ مذهب السلف، وتولىٰ القضاء بشيراز. انتهىٰ.

وقال عنه السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ٢١): الباز الأشهب، والأسد الضاري علىٰ خصوم المذهب، شيخ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، والغيث المغدق بروائه، ليس من الأصحاب إلا من هو حائم علىٰ معينه، هائم من جوهر بحره بثمينه، انتهت إليه الرحلة فضربت الإبل نحوه آباطها، وعلقت به العزائم مناطها، وأتته أفواج الطلبة لا تعرف إلا نمارق البيد بساطها. انتهىٰ.

الثامن: الإمام الحافظ زكريا بن يحيىٰ بن عبد الرحمن الساجي البصري الشافعي، المتوفىٰ سنة ٣٠٧هـ.

تأثر به الإمام أبو الحسن الأشعري، وأخذ عنه عقيدة السلف في الصفات.






وترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٢١) بقوله: الإمام الثبت الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، أبو يحيىٰ زكريا بن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن بحر بن عدي بن عبد الرحمن بن أبيض بن الديلم بن باسل بن ضبة الضبي، البصري، الشافعي... وكان من أئمة الحديث، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف.

وقال الشيخ أبو إسحاق في «طبقات الشافعية»: ومنهم زكريا بن يحيىٰ الساجي، أخذ عن الربيع والمزني، وله كتاب «اختلاف العلماء»، وكتاب «علل الحديث».

قلت: وللساجي مصنف جليل في علل الحديث يدل علىٰ تبحره وحفظه، ولم تبلغنا أخباره كما في النفس. انتهىٰ.

وقال في «تاريخ الإسلام» (٢٣/ ٢١٠): سمع منه الأشعري وأخذ عنه مذهب أهل الحديث. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٢٠٣): أحد الأئمة الثقات، سمع الحديث من عبيد الله بن معاذ العنبري، ومحمد بن بشار، ومحمد بن موسىٰ الحرشي، وهدبة بن خالد، وخلق، وروىٰ عنه جماعة، منهم: الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وأخذ عنه مذهب أهل السنة من المحدثين، والحافظ أبو أحمد بن عدي، والإمام أبو بكر الإسماعيلي، وأبو عمرو بن حمدان. وإسحاق في «طبقات الشافعية» فقال: أخذ عن الربيع والمزني، ومات بالبصرة سنة سبع وثلاث مائة، وله كتاب «اختلاف الفقهاء» وكتاب «علل الحديث». انتهىٰ.






وترجم له السبكي في «طبقات الشافعية» (٣/ ٢٩٩)، ونقل قول شيخه الحافظ الذهبي: سمع منه الأشعري وأخذ عنه مذهب أهل الحديث.

ثم أخذت السبكي العزة بالإثم، وغلبت عليه الحمية الأشعرية، فعقب علىٰ شيخه الذهبي مكابرًا بقوله:

قلت: سبحان الله! هنا تجعل الأشعري علىٰ مذهب أهل الحديث، وفي مكان آخر لولا خشيتك سهام الأشاعرة لصرحت بأنه جهمي، وما كان أبو الحسن إلا شيخ السنَّة وناصر الحديث وقامع المعتزلة والمجسمة وغيرهم، وما المجسمة إلا أعداء دين الله وأهل حديث رسول الله ﷺ. انتهىٰ.

قلت: السبكي يعني بالمجسمة الذين وصفهم بأنهم أعداء دين الله وأهل حديث رسول الله ﷺ: أهل السنَّة والجماعة أتباع السلف الصالح، الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات الذاتية المعنوية والخبرية؛ كالعلو والوجه واليدين والعينين، والصفات الفعلية؛ كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، والرضا والغضب، والمجيء، وغيرها، علىٰ الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]؛ لأن السبكي وأمثاله ينفون الصفات المذكورة وأمثالها، ويقولون بأن القرآن الموجود بين أيدينا مخلوق كما تقوله المعتزلة، وأنه عبارة عن كلام الله، وأن كلام الله هو المعنىٰ النفسي القائم بالله؛ إن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا. وأن الله يُرىٰ يوم القيامة لكن لا إلىٰ جهة؛ فلا يُرىٰ من فوق، ولا أمام ولا خلف، ولا يمين ولا شمال، وأن الله ليس في السماء، وليس مستويًا






علىٰ العرش، وليس موصوفًا حقيقةً بالرضا ولا بالرحمة ولا بالحكمة، وليس له وجه ولا يد، فيا ترىٰ من هو الذي وصف الله بالنقائص والعيوب وخالف الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، وما كان عليه المحدثون والأئمة؟!

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

التاسع: إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، المتوفىٰ سنة ٣١١هـ، تلميذ المزني وصاحب الكتاب العظيم (التوحيد).

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٥)**:

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن صالح بن بكر، الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف... وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتىٰ صار يُضرَب به المثل في سعة العلم والإتقان. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(١١/ ٢٢٨)**:

قال الحاكم: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر، سمعت ابن خزيمة وسئل: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**»، وإني لما شربت سألت الله علمًا نافعًا. انتهىٰ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعيين» (١/ ٢٢١)**: وقال الحاكم النيسابوري: سمعت أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله، ووحيه، وتنزيله، غير مخلوق، ومن قال: إن






شيئًا من وحيه وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن أفعاله تعالىٰ مخلوقة، أو يقول: إن القرآن محدث؛ فهو جهميٌّ، وقال: من نظر في كتبي بان له أن الكلابية كَذَبة فيما يحكون عني، فقد عرف الخَلق أنه لم يصنِّف أحد في التوحيد والقَدَر وأصول العلم مثلَ تصنيفي. انتهىٰ.

وقال فيه السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعية الكبرىٰ»** (٣/ ١٠٩):

المجتهد المطلق البحر العجاج، والحبر الذي لا يخاير في الحجىٰ ولا يناظر في الحجاج، جَمَع أشتات العلوم وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيسابور، إمامها حيث الضراغم مزدحمة، وفردها الذي رفع العلم بين الأفراد علمه، والوفود تفد علىٰ ربعه، لا يتجنبه منهم إلا الأشقىٰ، والفتاوىٰ تحمل عنه برًّا وبحرًا، وتشق الأرض شقًّا، وعلومه تسير فتهدي في كل سوداء مدلهمة، وتمضي علمًا تأتم الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة.

(كالبحر يقذف للقريب جواهرًا   كرمًا ويبعث للغريب سحائبًا)

انتهىٰ.

وقال ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعية»** (١/ ٩٩):

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح، أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ، إمام الأئمة، أخذ عن المزني والربيع، وقال فيه الربيع: استفدنا منه أكثر مما استفاد منا، قال أبو علي الحافظ: كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة، وقال ابن حبان: ما رأيت علىٰ وجه الأرض من يحسن السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتىٰ كأنها



بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط، وقال الدارقطني: كان إمامًا ثبتًا معدوم النظير، وقال ابن سريج: كان ابن خزيمة يستخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش، وقال الحاكم: ومصنفاته تزيد علىٰ مائة وأربعين كتابًا سوىٰ المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء، وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء، وقال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات: كان يقال له: إمام الأئمة، وجمع بين الفقه والحديث. انتهىٰ.

العاشر: الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، المتوفىٰ سنة ٣٢٧هـ، صاحب كتاب «الرد علىٰ الجهمية»، وصاحب المقولة الشهيرة: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٥٧) أنه قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة - يعني في أصول الدين - وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، فقالوا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، ومصرًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته؛ إلىٰ أن قال: وأن الله علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله، بلا كيفٍ، أحاط بكل شيء علمًا. انتهىٰ.

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«تاريخ الإسلام»** (٧/ ٥٣٣- ٥٣٦) فقال: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التميمي الحنظلي، المتوفىٰ ٣٢٧ هـ.

وقيل: بل الحنظلي فقط، وهي نسبة إلىٰ درب حنظلة بالري، كان يسكنه





والده.

هو الإمام ابن الإمام، حافظ الري وابن حافظها، رحل مع أبيه صغيرًا وبنفسه كبيرًا، فسمع: أباه، وابن وارة، وأبا زرعة، والحسن بن عرفة، وأحمد بن سنان القطان، وأبا سعيد الأشج، وعلي بن المنذر الطريقي، ويونس بن عبد الأعلىٰ، وخلقًا كثيرًا بالحجاز، والشام، ومصر، والعراق، والجبال، والجزيرة...

قال أبو يعلىٰ الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال.

صَنَّف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار.

قال: وكان زاهدًا يعد من الأبدال.

وقال يحيىٰ بن منده: صَنَّف ابن أبي حاتم «المسند» في ألف جزء، وكتاب «الزهد»، وكتاب «الكنىٰ»، و«الفوائد الكبير»، و«فوائد الرازيين»، وكتاب «تقدمة الجرح والتعديل»، وأشياء.

قلت: وله كتاب في «الجرح والتعديل» في عدة مجلدات يدل علىٰ سعة حفظ الرجل وإمامته. وله كتاب في «الرد علىٰ الجهمية» في مجلد كبير يدل علىٰ تبحره في السنَّة. وله تفسير كبير سائره آثار مسنده في أربع مجلدات كبار، قَل أن يوجد مثله.

وقد صنف أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي الخطيب المجاور بمكة لأبي محمد ترجمة، قال فيها: سمعت علي بن الحسن المصري ونحن في جنازة ابن أبي حاتم يقول: قلنسوة عبد الرحمن من السماء، وما هو بعجب، رجل منذ






ثمانين سنة علىٰ وتيرة واحدة، لم ينحرف عن الطريق.

وسمعت علي بن أحمد الفرضي يقول: ما رأيت أحدًا ممن عرف عبد الرحمن بن أبي حاتم ذكر عنه جهالة قط.

وسمعت عباس بن أحمد يقول: بلغني أن أبا حاتم قال: ومن يقوىٰ علىٰ عبادة عبد الرحمن، لا أعرف لعبد الرحمن ذنبًا.

قال أبو الحسن: وكان عبد الرحمن قد كساه الله بهاءً ونورًا يسر به من نظر إليه. سمعته يقول: أخرجني أبي - يعني رحل بي - سنة خمس وخمسين ومائتين وما احتلمت بعد، فلما أن بلغنا الليلة التي خرجنا فيها من المدينة نريد ذا الحليفة؛ احتلمت، فحكيت لأبي، فسر بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحمد الله حيث أدركت حجة الإسلام.

وقال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه الرازي يقول: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت يحيىٰ بن معين يقول: إنا لنطعن علىٰ أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة...

قال ابن مهرويه: فدخلت علىٰ ابن أبي حاتم وهو يقرأ علىٰ الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدثته بهذا؛ فبكىٰ وارتعدت يداه حتىٰ سقط الكتاب.

وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٢٥٤-٢٥٥):

أحد الأئمة في الحديث، والتفسير، والعبادة، والزهادة، والصلاح، والديانة،






حافظ ابن حافظ... وصنف الكتب المهمة: كالتفسير الجليل (المقدار)، وكتاب (الجرح والتعديل)، وكتاب (العلل) المبوب علىٰ أبواب الفقه، وغير ذلك، وله كتاب في مناقب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد رأيت في بعض التعاليق: أنه صلىٰ، وصلىٰ وراءه النسائي، فلما سلَّم قال له: يا أبا محمد، إنك أطلت السجود، وإني سبحت في سجودي وراءك سبعين مرة، فقال: لكني لم أسبِّح إلا ثلاثًا. وذكروا أنه لما انهدم بعض سور طرسوس احتيج في بنائه إلىٰ ألف دينار، فقال أبو محمد هذا لأهل مجلسه الذين كان يلقي عليهم التفسير: من رجل يبني ما وهىٰ من هذا السور، وأنا ضامن له عند الله قصرًا في الجنة؟ فقام إليه رجل من العجم، فقال: هذه ألف دينار، واكتب لي خطك بالضمان. فكتب له رقعة بذلك، وبنىٰ ذلك السور، وكان مهما في مقابلة العدو، وقدر موت ذلك العجمي، فلما دُفن دفنت معه تلك الرقعة، فجاءت ريح فحملتها فوضعتها في حجر ابن أبي حاتم، وقد كُتب في ظهرها: قد وفينا ما ضمنته ولا تعد إلىٰ ذلك. انتهىٰ.

وقال عنه السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ٣٢٤)**: الإمام ابن الإمام، حافظ الري وابن حافظها، كان بحرًا في العلم وله المصنفات المشهورة، رحل مع أبيه صغيرًا وبنفسه كبيرًا. انتهىٰ.

الحادي عشر: الإمام الحافظ الكبير أبو بكر الإسماعيلي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب (اعتقاد أئمة الحديث)، المتوفىٰ سنة ٣٧١هـ.

قال عنه الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٩٢- ٢٩٥): الإمام، الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن






إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي، صاحب (الصحيح)، وشيخ الشافعية...

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن بن الفراء، أخبرنا الشيخ موفق الدين عبد الله، أخبرنا مسعود بن عبد الواحد، أخبرنا صاعد بن سيار، أخبرنا علي بن محمد الجرجاني، أخبرنا حمزة بن يوسف، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، قال: اعلموا - رحمكم الله - أن مذاهب أهل الحديث: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عن ذلك.

ويعتقدون بأن الله مدعو بأسمائه الحسنىٰ، وموصوف بصفاته التي وَصَف بها نفسَه، ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيديه، ويداه مبسوطتان بلا اعتقاد كيف، واستوىٰ علىٰ العرش بلا كيف. وذكر سائر الاعتقاد. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٣٠٥): الفقيه الإمام الحافظ، أحد كبراء الشافعية فقهًا، وحديثًا، وتصنيفًا. انتهىٰ.

الثاني عشر: الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود، الدارقطني البغدادي، المتوفىٰ سنة ٣٨٥هـ، صاحب كتاب (العلل) وكتاب (السنن)، وغيرهما.

قال عنه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٨٧): وكان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيجًا وحده، وإمام وقته، انتهىٰ إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة، والثقة






والعدالة، وقبول الشهادة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب، والاضطلاع بعلوم سوىٰ علم الحديث، منها: القراءات؛ فإن له فيها كتابًا مختصرًا موجزًا، جمع الأصول في أبواب عقدها أول الكتاب.

وسمعت بعض من يعتنىٰ بعلوم القرآن يقول: لم يسبق أبو الحسن إلىٰ طريقته التي سلكها في عقد الأبواب في أول القراءات، وصار القراء بعده يسلكون طريقته في تصانيفهم، ويحذون حذوه.

ومنها: المعرفة بمذاهب الفقهاء، فإن كتاب «السنن» الذي صنفه يدل علىٰ أنه كان ممن اعتنىٰ بالفقه؛ لأنه لا يقدر علىٰ جمع ما تضمن ذلك الكتاب إلا من تقدمت معرفته بالاختلاف في الأحكام.

وبلغني أنه درس فقه الشافعي علىٰ أبي سعيد الإصطخري، وقيل: بل درس الفقه علىٰ صاحب لأبي سعيد، وكتب الحديث عن أبي سعيد نفسه، ومنها أيضًا: المعرفة بالأدب والشعر...

وقال (ص ٤٨٧): سألت البرقاني، قلت له: هل كان أبو الحسن الدارقطني يملي عليك «العلل» من حفظه؟ فقال: نعم. ثم شرح لي قصةَ جمع «العلل»، فقال: كان أبو منصور ابن الكرخي يريد أن يصنف مسندًا معللًا، فكان يدفع أصوله إلىٰ الدارقطني، فيعلم له علىٰ الأحاديث المعللة، ثم يدفعها أبو منصور إلىٰ الوراقين، فينقلون كل حديث منها في رقعة، فإذا أردت تعليق كلام الدارقطني علىٰ الأحاديث نظر فيها أبو الحسن، ثم أملىٰ عليَّ الكلام من حفظه، فيقول: حديث الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود الحديث الفلاني،






اتفق فلان وفلان على روايته، وخالفهما فلان. ويذكر جميع ما في ذلك الحديث، فاكتب كلامه في رقعة مفردة، وكنت أقول له: لمَ تنظر قبل إملائك الكلام في الأحاديث؟ فقال: أتذكر ما في حفظي بنظري. ثم مات أبو منصور والعلل في الرقاع، فقلت لأبي الحسن بعد سنين من موته: إني قد عزمت أن أنقل الرقاع إلى الأجزاء وأرتبها على المسند. فأذن لي في ذلك، وقرأتها عليه من كتابي، ونقلها الناس من نسختي.

وقال (ص ٤٨٧): حدثني أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا، قال: رأيت في المنام ليلة من ليالي شهر رمضان كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة، وما آل إليه أمره، فقيل لي: ذاك يدعى في الجنة: الإمام. انتهى.

وترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٤٩- ٤٦١) بقوله: الإمام، الحافظ، المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي، المقرئ، المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد... وكان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطرقها، وقوة المشاركة في الفقه، والاختلاف، والمغازي، وأيام الناس، وغير ذلك... صنف التصانيف، وسار ذكره في الدنيا، وهو أول من صنف القراءات، وعقد لها أبوابًا قبل فرش الحروف...

وقال أبو بكر البرقاني: كان الدارقطني يملي عليَّ (العلل) من حفظه.

قلت: إن كان كتاب (العلل) الموجود قد أملاه الدارقطني من حفظه كما






دلت عليه هذه الحكاية؛ فهذا أمر عظيم، يقضىٰ به للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملىٰ بعضَه من حفظه فهذا ممكن، وقد جمع قبله كتابَ (العلل) علي بن المديني حافظ زمانه... وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام.

قلت: لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا، سمع هذا القول منه أبو عبد الرحمن السلمي.

وقال الدارقطني: اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل، وقال قوم: علي أفضل.

فتحاكموا إليَّ، فأمسكت، وقلت: الإمساك خير.

ثم لم أرَ لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من عليٍّ باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ، هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يحل في الرفض.

قلت: ليس تفضيل عليٍّ برفض، ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعليٍّ ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء ﭬ، ولكن جمهور الأمَّة علىٰ ترجيح عثمان علىٰ الإمام عليٍّ، وإليه نذهب.

والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر، من خالف في ذا فهو شيعي جلد، ومن أبغض الشيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافضي مقيت، ومن سبهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هدًىٰ فهو من غلاة الرافضة







أبعدهم الله...

قال الخطيب: سألت البرقاني: هل كان أبو الحسن يملي عليك (العلل) من حفظه؟

قال: نعم، أنا الذي جمعتها، وقرأها الناس من نسختي. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (٨/ ٥٧٧): قال الحاكم: صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع، وإمامًا في القراء والنحويين.

وفي سنة سبع وستين أقمت ببغداد أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا بالليل والنهار، فصادفته فوق ما وصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، وله مصنفات يطول ذكرها، وأشهد أنه لم يخلف علىٰ أديم الأرض مثله. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (٥٧٨): وقال الأزهري: رأيت الدارقطني أجاب ابن أبي الفوارس عن علة حديث أو اسم، ثم قال له: يا أبا الفتح، ليس بين الشرق والغرب من يعرف هذا غيري.

وقال البرقاني: كان الدارقطني يملي عليَّ «العلل» من حفظه.

قلت: وهذا شيء مدهش كونه كان يملي «العلل» من حفظه، فمن أراد أن يعرف قدر ذلك فليطالع كتاب «العلل» للدارقطني، ليعرف كيف كان الحفاظ. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير في «طبقات الشافعيين» (١/ ٣٢٣) بقوله: الحافظ الكبير الشهير صاحب المصنفات المفيدة، منها: كتاب «السنن» المشهور، وكتاب «العلل» الذي لم ير مثله في فنه، روىٰ عن أمم لا يحصون كثرة من أهل الأقاليم والآفاق، وتفقه بأبي سعيد الإصطخري، وروىٰ عنه خلق كثير،





وجم غفير. انتهىٰ.

وترجم له السبكي في «طبقات الشافعية» (٣/ ٤٦٢) بقوله: الإمام الجليل أبو الحسن الدارقطني البغدادي، الحافظ المشهور الاسم، صاحب المصنفات، إمام زمانه وسيد أهل عصره وشيخ أهل الحديث. انتهىٰ.

وترجم له ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» (١/ ١٦١)، وغيرهم.

الثالث عشر: الإمام الكبير أبو سليمان الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، المتوفىٰ سنة ٣٨٨هـ، صاحب كتاب (الغنية عن الكلام وأهله).

ترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٣) بقوله: الإمام العلامة الحافظ اللغوي. انتهىٰ.

وترجم له في «تاريخ الإسلام» (٨/ ٦٣٢) بقوله: مصنف كتاب «معالم السنن»، وكتاب «غريب الحديث»، وكتاب «شرح أسماء الله الحُسْنَىٰ»، وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله»، وكتاب «العزلة»، وغير ذلك من التصانيف. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٣٠٧):

كان رأسًا في علم العربية، والفقه، والأدب، وغير ذلك، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال، وأبي علي بن أبي هريرة، وغيرهما.

وقال (ص ٣٠٨): ومن شعره:

وما غربة الإنسان في شقة النوىٰ	ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها	وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وله أيضًا:



تسامح ولا تستوف حقك كله   وأبق فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

انتهىٰ.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ عقيدة السلف منافحًا عنها ومناصرًا لها، وله كتاب عظيم بعنوان «الغنية عن الكلام وأهله».

ومما قاله فيه: فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة؛ فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلىٰ ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالىٰ بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه. والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع علىٰ الكلام في الذات، ويحتذىٰ في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف. فإذا قلنا: يد، وسمع، وبصر، وما أشبهها؛ فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنىٰ اليد القوة أو النعمة. انتهىٰ [مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥٨- ٥٩)][1].



---

[1] والفقرة السابقة نسبها الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (٣١/ ١٠٥)، وفي سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٥)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ٢٢٥) للخطيب البغدادي مسندة، والخطابي متقدم علىٰ الخطيب، فلعل الخطيب أخذ ذلك عنه، وشيخ الإسلام قد عزا الكلام للخطابي في كتابه (الغنية عن الكلام وأهله)، والكتاب مفقود، وعلىٰ كل حال فلعل الكلام ابتداءً قاله الخطابي، ووقف عليه الخطيب وحفظه لنفاسته





وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عصمنا الله وإياك من الأهواء المضلة، والآراء المغوية، والفتن المحيرة، ورزقنا وإياك الثبات علىٰ السنَّة والتمسُّك بها، ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف، وانتهجها بعدهم صالحو الخلف، وجنبنا وإياك مداحض البدع، وبنيات طرقها العادلة عن نهج الحق وسواء الواضحة، وأعاذنا وإياك عن حيرة الجهل وتعاطي الباطل، والقول بما ليس لنا به علم، والدخول فيما لا يعنينا، والتكلف لما قد كفينا الخوض فيه ونهينا عنه، ونفعنا وإياك بما علمنا، وجعله سببًا لنجاتنا، ولا جعله وبالًا علينا برحمته.

وقفتُ علىٰ مقالتك، وما وصفتَه من أمر ناحيتك، وظهور ما ظهر بها من مقالات أهل الكلام، وخوض الخائضين فيها، وميل بعض منتحلي السنة إليها واغترارهم بها، واعتذارهم في ذلك بأن الكلام وقاية للسنَّة، وجُنَّة لها يذب به عنها، ويذاد بسلاحه عن حريمها، وفهمتُ ما ذكرتَ من ضيق صدرك بمجالستهم، وتعذر الأمر عليك في مفارقتهم؛ لأن موقفَك بين أن تسلِّم لهم ما يدعونه من ذلك فتقبله، وبين أن تقابلهم علىٰ ما يزعمونه فترده وتنكره، وكلا الأمرين يصعب عليك؛ أما القبول فلأن الدين يمنعك منه، ودلائل الكتاب والسنة تحول بينك وبينه، وأما الرد والمقابلة فلأنهم يطالبونك بأدلة العقول، ويؤاخذونك بقوانين الجدل، ولا يقنعون منك بظواهر الأمور، وسألتني أن أمدك بما يحضرني في نصرة الحق من علم وبيان، وفي رد مقالة أولئك من حجة وبرهان، وأن أسلك في ذلك طريقة لا يمكنهم ردها، ولا يسوغ لهم من جهة

=

معتقدًا صحته، فقرره لتلاميذه؛ فحفظ عنه ونسب إليه. والله أعلم.






المعقول إنكارها، فرأيت إسعافك به لازمًا في حق الدين، وواجب النصيحة لجماعة المسلمين، وأنا أسأل الله أن يوفق لما ضمنت لك منه، وأن يعصم من الزلل فيه. واعلم يا أخي أن هذه الفتنة قد عمَّت اليوم، وشملت وشاعت في البلاد واستفاضت، ولا يكاد يسلم من رهج غبارها إلا من عصمه الله، وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ: «**إن الدين بدأ غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**».

قال: فنحن اليوم في ذلك الزمان وبين أهله، فلا تنكر ما تشاهده منه، وسل الله العافية من البلاء، واحمده علىٰ ما وهب لك من السلامة، ثم إني تدبرت هذا الشأن فوجدت عظم السبب فيه أن الشيطان صار بلطيف حيلته يسوِّل لكل من أحس من نفسه بفضل ذكاء وذهن، يوهمه أنه إن رضي في علمه ومذهبه بظاهر من السنة، واقتصر علىٰ واضح بيان منها؛ كان أسوة العامة، وعد واحدًا من الجمهور والكافة، فإنه قد ضل فهمه، واضمحل لفظه وذهنه؛ فحركهم بذلك علىٰ التنطع في النظر، والتبدع بمخالفة السنة والأثر، ليبينوا بذلك عن طبقة الدهماء، ويتميزوا في الرتبة عمن يرونه دونهم في الفهم والذكاء، واختدعهم بهذه المقدمة حتىٰ استزلهم عن واضح المحَجَّة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها، ولم يخلصوا منها إلىٰ شفاء نفس، ولا قبلوها بيقين علم. ولمَّا رأوا كتاب الله تعالىٰ ينطق بخلاف ما انتحلوه، ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه؛ ضربوا بعض آياته ببعض، وتأولوها علىٰ ما سنح لهم في عقولهم، واستوىٰ عندهم علىٰ ما وضعوه من أصولهم، ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله ﷺ ولسننه المأثورة عنه، وردوها علىٰ وجوهها، وأساءوا في نقلتها






القالة، ووجهوا عليهم الظنون، ورموهم بالتزندق، ونسبوهم إلىٰ ضعف المنة، وسوء المعرفة بمعاني ما يروونه من الحديث، والجهل بتأويله. ولو سلكوا سبيل القصد ووقفوا عندما انتهىٰ بهم التوقيف؛ لوجدوا برد اليقين وروح القلوب، ولكثرت البركة وتضاعف النماء، وانشرحت الصدور، ولأضاءت فيها مصابيح النور، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

واعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزًا عنه ولا انقطاعًا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وكان في زمانهم هذه الشُّبَه والآراء، وهذه النحل والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها، وحذروه من سوء مغبتها، وقد كانوا علىٰ بيِّنة من أمرهم، وعلىٰ بصيرة من دينهم لما هداهم الله له من توفيقه، وشرح به صدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته وتوقيف السنَّة وبيانها غنًىٰ ومندوحة عما سواهما، وأن الحُجَّة قد وقعت بهما، والعلة أزيحت بمكانهما، فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنَّة، وقلت عنايتهم بها، واعترضهم الملحدون بشبههم، والمتحذلقون بجدلهم؛ حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام، ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل؛ لم يقووا ولم يظهروا في الحجاج عليهم؛ فكان ذلك ضلة من الرأي، وغبنًا فيه وخدعة من الشيطان، والله المستعان.

فإن قال هؤلاء القوم: فإنكم قد أنكرتم الكلام، ومنعتم استعمال أدلة العقول، فما الذي تعتمدون في صحة أصول دينكم؟ ومن أي طريق تتوصلون







إلىٰ معرفة حقائقها، وقد علمتم أن الكتاب لم يعلم حقه، والنبي لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول، وأنتم قد نفيتموها؟ قلنا: إنا لا ننكر أدلة العقول، والتوصل بها إلىٰ المعارف، ولكنا لا نذهب في استعمالها إلىٰ الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض، وتعلقها بالجواهر، وانقلابها فيها علىٰ حدوث العالم، وإثبات الصانع، ونرغب عنها إلىٰ ما هو أوضح بيانًا، وأصح برهانًا، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة؛ لأنهم لا يثبتون النبوات، ولا يرون لها حقيقةً، فكان أقوىٰ شيء عندهم في الدلالة علىٰ إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء.

فأما مثبتو النبوات فقد أغناهم الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك، وكفاهم كلفة المؤنة في ركوب هذه الطريقة المنعرجة التي لا يؤمَن العنت علىٰ راكبها، والإبداع والانقطاع علىٰ سالكها.

وبيان ما ذهب إليه السلف من أئمة المسلمين - رحمة الله عليهم - في الاستدلال علىٰ معرفة الصانع، وإثبات توحيده وصفاته، وسائر ما ادعىٰ أهل الكلام أنه لا يتوصل إليه إلا من الوجه الذي يزعمونه: هو أن الله سبحانه لما أراد إكرام من هداه لمعرفته؛ بعث رسوله محمدًا ﷺ إليهم بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال ﷺ في خطبة الوداع وفي مقامات له شتىٰ، وبحضرته عامة أصحابه رضوان الله عليهم: «**ألا هل بلغت؟**»، وكان ما أنزل الله وأمر بتبليغه هو كمال






الدين وتمامه؛ لقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

فلم يترك ﷺ شيئًا من أمور الدين، قواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بيَّنَه، وبلَّغَه علىٰ كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه؛ إذ لا خلاف بين فِرَق الأمَّة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال.

ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تبرح فيهما الحاجة راهنة أبدًا في كل وقت وزمان، ولو أخر فيهما البيان لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه.

وإذا كان الأمر علىٰ ما قلنا، فقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلىٰ الاستدلال بالأعراض، وتعلقها بالجواهر، وانقلابها؛ إذ لا يمكن أحدًا من الناس أن يروي في ذلك عنه، ولا عن واحدٍ من أصحابه من هذا النمط حرفًا واحدًا فما فوقه، لا من طريق تواتر ولا آحاد؛ علم أنهم قد ذهبوا خلاف مذاهب هؤلاء، وسلكوا غير طريقتهم. انتهىٰ «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٧١-٣٧٦).



الرابع عشر: الإمام الجليل أبو حامد الإسفراييني أحمد بن أبي طاهر، المتوفىٰ سنة ٤٠٦هـ.

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٩٣):** الأستاذ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد... حدث عنه: تلامذته: أقضىٰ القضاة أبو الحسن الماوردي، والفقيه سليم الرازي، وأبو علي السنجي، وأبو الحسن المحاملي، وآخرون.

قال الشيخ أبو إسحاق في (الطبقات): انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا



ببغداد، وعلق عنه تعاليق في شرح المزني، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاث مائة متفقه. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعيين» (١/ ٣٤٥)**: شيخ الشافعية بلا مدافعة... وشرح المختصر في تعليقته، التي هي في خمسين مجلدًا، ذكر فيها خلاف العلماء، وأقوالهم، ومآخذهم، ومناظراتهم، حتىٰ كان يقال له: الشافعي الثاني. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٩٦- ٩٩)**: قال الشيخ أبو الحسن - الكرجي الشافعي -: (وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني شديد الإنكار علىٰ الباقلاني وأصحاب الكلام).

قال: (ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلىٰ الأشعري، ويتبرءون مما بنىٰ الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه، علىٰ ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة - منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد بن علي الساجي - يقولون: سمعنا جماعة من المشايخ الثقات، قالوا: كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني إمام الأئمة الذي طبق الأرض علمًا وأصحابًا إذا سعىٰ إلىٰ الجمعة من قطعية الكرج إلىٰ جامع المنصور؛ يدخل الرباط المعروف بالزوزي المحاذي للجامع، ويقبل علىٰ من حضر، ويقول: اشهدوا عليَّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، كما قاله الإمام ابن حنبل، لا كما يقوله الباقلاني. وتكرر ذلك منه جمعات، فقيل له في ذلك، فقال: حتىٰ ينتشر في الناس وفي أهل الصلح، ويشيع الخبر في أهل البلاد: أني بريء مما هم عليه - يعني الأشعرية - وبريء من مذهب أبي بكر بن الباقلاني؛





فإن جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون علىٰ الباقلاني خفية ويقرءون عليه، فيفتنون بمذهبه، فإذا رجعوا إلىٰ بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة؛ فيظن ظانٌّ أنهم مني تعلموه قبل، وأنا ما قلته، وأنا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته).

قال الشيخ أبو الحسن الكرجي: (وسمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني يقول: سمعت شيخنا الإمام أبا بكر الزاذقاني يقول: كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وكان ينهىٰ أصحابه عن الكلام، وعن الدخول علىٰ الباقلاني؛ فبلغه أن نفرًا من أصحابه يدخلون عليه خفيةً لقراءة الكلام، فظن أني معهم ومنهم، وذكر قصةً قال في آخرها: إن الشيخ أبا حامد قال لي: يا بني، قد بلغني أنك تدخل علىٰ هذا الرجل - يعني الباقلاني - فإياك وإياه؛ فإنه مبتدع يدعو الناس إلىٰ الضلالة، وإلا فلا تحضر مجلسي، فقلت: أنا عائذ بالله مما قيل، وتائب إليه، واشهدوا عليَّ أني لا أدخل إليه).

قال الشيخ أبو الحسن: (وسمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول: سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد - أظن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أحدهم - قالوا: كان أبو بكر الباقلاني يخرج إلىٰ الحمام متبرقعًا، خوفًا من الشيخ أبي حامد الإسفراييني).

قال أبو الحسن: (ومعروف شدة الشيخ أبي حامد علىٰ أهل الكلام، حتىٰ ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري، وعلقه عنه أبو بكر الزاذقاني.

وهو عندي، وبه اقتدىٰ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه «اللمع» و«التبصرة»، حتىٰ لو وافق قول الأشعري وجهًا لأصحابنا ميَّزه وقال: هو قول بعض أصحابنا، وبه قالت الأشعرية. ولم يعدهم من أصحاب الشافعي،







استنكافًا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه، فضلًا عن أصول الدين).

قلت: هذا المنقول عن الشيخ أبي حامد وأمثاله من أئمة أصحاب الشافعي، أصحاب الوجوه؛ معروف في كتبهم المصنفة في أصول الفقه وغيرها.

وقد ذكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب وأبو إسحاق الشيرازي وغير واحد، وبينوا مخالفة الشافعي وغيره من الأئمة لقول ابن كلاب والأشعري في مسألة الكلام التي امتاز بها ابن كلاب والأشعري عن غيرهما، وإلا فسائر المسائل ليس لابن كلاب والأشعري بها اختصاص، بل ما قالاه قاله غيرهما؛ إما من أهل السنة والحديث وإما من غيرهم، بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام، واتبعه عليه الأشعري؛ فإنه لم يسبق ابن كلاب إلىٰ ذلك أحد، ولا وافقه عليه من رؤوس الطوائف أحد، وأصله في ذلك مسألة الصفات الاختيارية، ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالىٰ: هل تقوم بذاته أم لا؟ فكان السلف والأئمة يثبتون ما يقوم بذاته من الصفات والأفعال مطلقًا، والجهمية من المعتزلة وغيرهم ينكرون ذلك مطلقًا، فوافق ابن كلاب السلف والأئمة في إثبات الصفات، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالىٰ وما يتعلق بمشيئته وقدرته.



ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كـ: القلانسي والأشعري ونحوهما: بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال، وهذه البقايا أصلها هو الاستدلال علىٰ حدوث العالم بطريقة الحركات؛ فإن هذا الأصل هو الذي أوقع المعتزلة في نفي الصفات والأفعال.

وقد ذكر الأشعري في رسالته إلىٰ أهل الثغر بباب الأبواب أنه طريق مبتدع






في دين الرسل، محرم عندهم، وكذلك غير الأشعري، كـ: الخطابي وأمثاله، يذكرون ذلك، لكن مع هذا من وافق ابن كلاب لا يرىٰ بطلان هذه الطريقة عقلًا، وإن لم يقل: إن الدين محتاج إليها. فلما رأىٰ من رأىٰ صحتها؛ لزمه: إما قول ابن كلاب، أو ما يضاهيه.

وهذا الذي نقلوه - من إنكار أبي حامد وغيره علىٰ القاضي أبي بكر الباقلاني - هو بسبب هذا الأصل، وجرىٰ له بسبب ذلك أمور أخرىٰ، وقام عليه الشيخ أبو حامد والشيخ أبو عبد الله بن حامد، وغيرهما من العلماء من أهل العراق وخراسان والشام، وأهل الحجاز ومصر، مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة، والرد علىٰ الزنادقة والملحدين وأهل البدع؛ حتىٰ إنه لم يكن في المنتسبين إلىٰ ابن كلاب والأشعري أجل منه ولا أحسن كتبًا وتصنيفًا، وبسببه انتشر هذا القول، وكان منتسبًا إلىٰ الإمام أحمد وأهل السنة وأهل الحديث والسلف، مع انتسابه إلىٰ مالك والشافعي وغيرهما من الأئمة. انتهىٰ.

الخامس عشر: الإمام الكبير الشهير أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، المعروف باللالكائي، المتوفىٰ سنة ٤١٨هـ.

صاحب كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) الذي يعد من أوسع وأجمع وأنفع الكتب في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

ترجم له الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٨/ ٢٦٥- ٢٦٦) بقوله: الحافظ أبو القاسم الرازي الطبري الأصل، المعروف باللالكائي، الفقيه الشافعي، نزيل بغداد. تفقه علىٰ: الشيخ أبي حامد... قال الخطيب: كان يفهم






ويحفظ. وصنف كتابًا في السنة، وكتاب «رجال الصحيحين»، وكتابًا في السنن. وعاجلته المنية.

وخرج إلىٰ الدينور فمات بها في رمضان. حدثني علي بن الحسين بن جداء العكبري، قال: رأيت هبة الله الطبري في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي.

قلت: بماذا؟ قال كلمة خفية: بالسنَّة. انتهىٰ.

وترجم له في **«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤١٩) بقوله**: الإمام، الحافظ، المجود، المفتي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٣٧٨) بقوله: الفقيه الشافعي، تفقه علىٰ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد. انتهىٰ.

السادس عشر: الإمام العلامة الكبير أبو محمد الجويني عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، والد أبي المعالي الجويني إمام الحرمين.

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦١٧):

شيخ الشافعية، كان فقيهًا، مدققًا، محققًا، نحويًّا، مفسرًا. انتهىٰ.

وقال عنه في «تاريخ الإسلام» (٩/ ٥٧٤):

وكان إمامًا فقيهًا، بارعًا في مذهب الشَّافعيِّ، مفسِّرًا نَحْوِيًّا أديبًا، تفقَّه بنَيْسابور علىٰ أبي الطَّيِّب الصُّعْلُوكِيِّ، ثمَّ خرج إلىٰ مَرْو، وتفقَّه علىٰ أبي بكر القفَّال وتخرَّج به فِقْهًا وخلافًا، وعادَ إلىٰ نَيْسَابور سنة سَبْعٍ وأربع مائة، وقعد






للتَّدريس والفَتْوَىٰ.

وكان مجتهدًا في العبادة، مَهِيبًا بين التَّلامذة، صاحب جدٍّ ووَقَار، صنف «التبصرة» في الفقه، وصنف «التذكرة»، و«التفسير الكبير»، و«التعليق». انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (ص: ٣٩١-٣٩٢):

عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الشيخ أبو محمد الجويني.

وأصله من سنبس، قبيلة من العرب، كان إمامًا بارعًا في المذهب، مفسِّرًا، نحويًّا، أديبًا، تفقه بنيسابور علىٰ أبي الطيب الصعلوكي، ثم خرج إلىٰ مرو علىٰ أبي بكر القفال، وعاد إلىٰ نيسابور سنة سبع وأربع مائة، وقعد للتدريس والفتوىٰ، وكان مجتهدًا في العبادة، مهيبًا بين التلامذة، صاحب جدٍّ ووَقَار، صَنَّف «التبصرة» في الفقه، و«التذكرة»، و«التفسير الكبير»، و«التعليق»، روىٰ الحديث عن: أبي بكر القفال، وعدنان بن محمد الضبي، وأبي نعيم عبد الملك بن محمش، وببغداد من: أبي الحسين بن بشران، وجماعة، وعنه: ابنه إمام الحرمين، وبه تفقه، وبعده بالقاضي حسين، وروىٰ عنه أيضًا: سهل بن إبراهيم المسجدي، وعلي بن أحمد المديني؛ قال أبو عثمان الصابوني: لو كان الشيخ أبو محمد في بني إسرائيل؛ لنقل إلينا شمائله، وافتخروا به. توفي بنيسابور في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة.

قال الحافظ أبو صالح المؤذن: لما غسَّلته ولففته في الأكفان، رأيت يده اليمنىٰ إلىٰ الإبط زاهرة منيرة كلون القمر، فتحيرت، وقلت: هذا بركات فتاويه،






وذكر الشيخ تقي الدين بن الصلاح أن الشيخ أبا محمد أخرج الزكاة مرتين في السنة؛ حذرًا من نسيان النية، أو دفع الزكاة إلىٰ غير مستحق.

وذكر الشيخ محيي الدين النووي أنه كان له تفسير كبير، يشتمل علىٰ عشرة أنواع في كل آية، حُكِيَ عن أبي سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري أنه قال: كان أئمتنا في عصره، والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال، والفضل، والخصال الحميدة: أنه لو جاز أن يبعث الله نبيًّا في عصره لما كان إلا هو، من حسن طريقته وورعه وزهده وديانته في كمال فضله. انتهىٰ.

كان علىٰ عقيدة الأشاعرة، ثم رجع إلىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف الصالح، وكتب في ذلك رسالة قيمة عظيمة بعنوان:

«رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الصوت»، طبعت منفردة، وطبعت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

وقد وجَّه فيها نصيحة ثمينة لإخوانه، وبيَّن فيها السبب في بقاء مشايخه علىٰ التمشعر، قال بعد مقدمتها:

وبعد، فهذه نصيحة كتبتها إلىٰ إخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء، لما تعيَّن عليَّ من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن المرء لا يكمل إيمانه حتىٰ يحب لأخيه ما يحبه لنفسه. وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال: بايعت رسول الله - ﷺ - علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

وعن تميم الداري أن النبي - ﷺ - قال: «الدين النصيحة» ثلاثًا، قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**. أعرفهم - أيدهم الله







تعالىٰ بتأييده، ووفقهم لطاعته ومزيده - أنني كنت برهة من الدهر متحيرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل؛ فأجد النصوص في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله - ﷺ - ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت.

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم: منهم من يؤوِّل الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤوِّل النزول بنزول الأمر، ويؤوِّل اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤوِّل القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالىٰ معنًىٰ قائمًا بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنىٰ القائم.

وممن ذهب إلىٰ هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلة، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين؛ لأني علىٰ مذهب الشافعي - رضي الله تعالىٰ عنه - عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلىٰ مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام؛ لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونًا بها؛ فكنت كالمتحير المضطرب في تحيُّره، المتململ من قلبه في تقلُّبه وتغيُّره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة



الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- أجدها نصوصًا تشير إلىٰ حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول -ﷺ- قد صرح بها مخبِرًا عن ربه واصفًا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه -ﷺ- كان يحضر في مجلسه: الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئًا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصًّا ولا ظاهرًا مما يصرفها عن حقائقها، ويؤوِّلها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء، ونزول الأمر للنزول، وغير ذلك، ولم أجد عنه -ﷺ- أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل علىٰ أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرئية، ويد النعمة والقدرة، وغير ذلك. وأجد الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥]... ثم ذكر آيات الاستواء وأحاديثه، ثم قال:

فصل: إذا علمنا ذلك واعتقدناه؛ تخلصنا من شُبَه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه علىٰ عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له؛ فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعِي، مع كون أن الرب تعالىٰ وصف لنا نفسَه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذلك، وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة؛ فمن وفقه الله تعالىٰ للإثبات بلا







تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

ثم قال: فصل: والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين؛ هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولًا يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه؛ فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسَه به. انتهى.

السابع عشر: الإمام الملقب بشيخ الإسلام: أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني النيسابوري، المتوفى سنة ٤٤٩هـ.

صاحب الكتاب العظيم (عقيدة السلف أصحاب الحديث)، الذي نصر فيه السنَّة وأهلها.

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«تاريخ الإسلام» (٩/ ٧٣٤) بقوله:** إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر، أبو عثمان الصابوني النيسابوري الواعظ المفسر، شيخ الإسلام...

قال البيهقي: أخبرنا إمام المسلمين حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا: أبو عثمان الصابوني. ثم ذكر حكاية.

وقال أبو عبد الله المالكي: أبو عثمان الصابوني ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ، والتفسير، وغيرهما.






وقال عبد الغافر في «سياق تاريخ نيسابور»: إسماعيل الصابوني الأستاذ، شيخ الإسلام، أبو عثمان الخطيب، المفسر، الواعظ، المحدث، أوحد وقته في طريقه، وعظ المسلمين سبعين سنة، وخطب وصلىٰ في الجامع نحوًا من عشرين سنة، وكان حافظًا كثير السماع والتصنيف، حريصًا علىٰ العلم... ورُزق العز والجاه في الدين والدنيا، وكان جمالًا للبلد، مقبولًا عند الموافق والمخالف، مجمع علىٰ أنه عديم النظير، وسيف السنة، ودامغ أهل البدعة... ولأبي عثمان مصنف في السنة واعتقاد السلف، أفصح فيه بالحق، فرحمه الله ورضي عنه. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٩٩): الإمام العلامة القدوة المفسر المذكر المحدث شيخ الإسلام... ولقد كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف، ما رآه منصف إلا واعترف له. انتهىٰ.

ترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٤٠٧).

وترجم له السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٧١) بقوله: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد، شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني، الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ، المشهور الاسم، الملقب بشيخ الإسلام، لقبه أهل السنَّة في بلاد خراسان فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره. انتهىٰ.

الثامن عشر: الإمام العلامة المؤرخ حافظ المشرق أبو بكر الخطيب البغدادي الشافعي، المتوفىٰ سنة ٤٦٣هـ.

صاحب كتاب (تاريخ بغداد)، و(شرف أصحاب الحديث)، وغيرها.






ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٧٠) بقوله:** الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ.

وقال (ص ٢٧٤): وكان من كبار الشافعية، تفقه علىٰ أبي الحسن بن المحاملي، والقاضي أبي الطيب الطبري.

وقال (ص ٢٨٠): وأظهر بعض اليهود كتابًا ادعىٰ أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه.

وحمل الكتاب إلىٰ رئيس الرؤساء، فعرضه علىٰ الخطيب، فتأمله وقال: هذا مزور، قيل: من أين قلت؟

قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين. فاستحسن ذلك منه. انتهىٰ.

وقال (ص ٢٨٣): أخبرنا أبو علي بن الخلال، أخبرنا أبو الفضل الهمداني، أخبرنا أبو طاهر السلفي، أخبرنا محمد بن مرزوق الزعفراني، حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهبُ السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلىٰ ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين






الأمرين، ودين الله تعالىٰ بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذىٰ في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر؛ فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنىٰ اليد: القدرة، ولا إن معنىٰ السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح.

ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. انتهىٰ.

وقال في «**تاريخ الإسلام**» (٣١/ ٩٥): وقال ابن عساكر: سمعت الحسين بن محمد يحكي عن أبي الفضل ابن خيرون أو غيره: أن أبا بكر الخطيب ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله تعالىٰ ثلاث حاجات، أخذًا بقول رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**».

فالحاجة الأولىٰ أن يحدِّث بـ«تاريخ بغداد» ببغداد، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن يُدفن عند بشر الحافي؛ فقضىٰ الله الحاجات الثلاث له. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعيين» (١/ ٤٤١)**






بقوله: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين المتفننين، ومن المتعصبين لمذهب الشافعي الذابين عنه، المصنفين في نصرته، تفقه علىٰ القاضي أبي الطيب الطبري، وأبي الحسن ابن المحاملي، واستفاد من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر ابن الصباغ، وغيرهما رَحِمَهُمُٱللَّهُ.

وشهرته في الحديث مغنية عن الإطناب في ذكر مشايخه فيه، وتعداد البلدان التي رحل إليها وسمع فيها، وذكر مصنفاته في ذلك؛ فإنها ستة وخمسون مصنفًا، منها: الجهر بالبسملة، علىٰ قاعدة المذهب، وقد أثنىٰ عليه الأئمة والعلماء. انتهىٰ.

التاسع عشر: الإمام أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، المتوفىٰ سنة ٤٧١هـ.

صاحب القصيدة العظيمة العصماء في بيان السنَّة، المشهورة بـ (القصيدة الرائية في السنة).

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٨٥-٣٨٦) بقوله: الإمام، العلامة، الحافظ، القدوة، العابد، شيخ الحرم... قال أبو سعد: كان سعد حافظًا متقنًا، ثقة، ورعًا، كثير العبادة، صاحب كرامات وآيات...

وقال ابن طاهر: ما رأيت مثله، وسمعت أبا إسحاق الحبال يقول: لم يكن في الدنيا مثل سعد بن علي في الفضل، كان يحضر معنا المجالس، ويقرأ بين يديه الخطأ فلا يرد، إلا أن يسأل فيجيب.






قال ابن طاهر: وسمعت الفقيه هياج بن عبيد إمام الحرم ومفتيه يقول: يوم لا أرىٰ فيه سعدًا لا أعتد أني عملت خيرًا. وكان هياج يعتمر في اليوم ثلاث عُمَر. انتهىٰ.

وقال عنه في كتابه (العلو للعلي الغفار): كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من دعاة السنة وأعداء البدعة. انتهىٰ.

وترجم له السبكي في «طبقات الشافعية» (٤/ ٣٨٣).

وهذا نص قصيدته الرائية:

تـدبر كـلام الله واعتمـد الخبـر	ودع عنـك رأيًـا لا يلائمـه أثـر
ونهـج الهـدىٰ فالزمـه واقتـدِ بـالألىٰ	هـم شـهدوا التنزيـل علـك تنجبـر
وكـن موقنًـا أنَّـا وكـل مكلـف	أُمِرنـا بقفـو الحق والأخـذ بالحـذر
وحكّـم فيمـا بيننـا قـول مالـك	قـديم حليم عـالم الغيـب مقتـدر
سـميع بصـير واحـد مـتكلم	مريد لمن يجري علىٰ الحق من قدر
وقـول رسـول قـد تحقـق صـدقه	بمـا جـاءه مـن معجـز قـاهر ظهـر
فقيـل لنـا ردوا إلـىٰ الله أمـركم	إذا مـا تنـازعتم لتنجـوا مـن الغـرر
أو اتبعـوا مـا سـنّ فيـه محمـد	فطاعتـه ترضـي الـذي أنـزل الزبـر
فمـن خـالف الـوحي المبـين بعقلـه	فـذاك امرؤ قـد خـاب حقًّـا وقـد خسر
وفي تـرك أمـر المصـطفىٰ فتنـةٌ فـذر	خـلاف الـذي قـد قالـه واتـل واعتبـر
ومـا اجتمعـت فيـه الصـحابة حجـة	وتلـك سـبيل المـؤمنين لمـن سـبر







وما لم يكن في عصرهم متعارفًا وجاء به من بعدهم ردّ بل زجر

ففي الأخذ بالإجماع فاعلم سعادةٌ كما في شذوذ القول نوعٌ من الخطر

وأمثل أهل العلم فينا طريقة وأغزرهم علمًا مقيمٌ على الأثر

وأجهل من تلقىٰ من الناس معجبٌ بخاطره يصغي إلىٰ كل من هدر

فدع عنك قول الناس فيما كفيته فما في استماع الزيغ شيء سوىٰ الضرر

لقد أوضح الله الكريم بلطفه لنا الأمر في القرآن فانهض بما أمر

وخلف فينا سنة نقتدي بها محمد المبعوث غوثًا إلىٰ البشر

ومنَّ علىٰ المأمور بالعقل آلة بها يعرف المتلىٰ من القول والعبر

فلا تك بدعيًّا تزوغ عن الهدىٰ وتحدث فالإحداث يدني إلىٰ سقر

ولا تجلسن عند المجادل ساعة فعنه رسول الله من قبل قد زجر

ومن ردَّ أخبار النبي مقدمًا لخاطره ذاك امرؤ ما له بصر

ولا تسمعن داعي الكلام فإنه عدو لهذا الدين عن حمله حسر

وأصحابه قد أبدعوا وتنطَّعوا وجازوا حدود الحق بالإفك والأشر

وخذ وصفهم عن صاحب الشرع إنه شديد عليهم للذي منهم خبر

وقد عدَّهم سبعين صنفًا نبينا وصنفين كلُّ محدث زائغ ذعر

فذو الرفض منسوب إلىٰ الشرك عادلًا عن الحق ذو بهت علىٰ الله والنذر

وعقدي صحيح في الخوارج أنهم كلابٌ تعاوىٰ في ضلال وفي سُعر

ويوردهم ما أحدثوا من مقالهم لظًىٰ ذات لهب لا تُبْقِي ولا تذر





وأبـرأ مـن صـنفين قـد لعنـا معًـا ... فـذا أظهـر الإرجـا وذا أنكـر القـدر
ومـا قالـه جهـمٌ فحـق ضـلالة ... وبشـر فمـا أبـداه جهـلًا قـد انتشـر
وجعـدٌ فقـد أرداه خبـث مقالـه ... وأمـا ابـن كـلَّاب فـأقبح بمـا ذكـر
وجـاء ابـن كـرَّام بهُجْـر ولـم يكـن ... لـه قـدمٌ في العلـم لكنـه جسـر
وسـقف هـذا الأشـعري كلامـه ... وأربىٰ علىٰ مَن قبله من ذوي الدبر
فمـا قالـه قـد بـان للحـق ظـاهرًا ... وما في الهُدىٰ عمدًا لمن ماز وادَّكَر
يكفِّـر هـذا ذاك فيمـا يقولـه ... ويـذكر ذا عنـه الـذي عنده ذُكـر
وبالعقـل فيمـا يزعمـون تباينوا ... وكلهـم قـد فـارق العقـل لـو شـعر
فـدع عنك مـا قـد أبـدعوا وتنطعوا ... ولازم طريـق الحـق والـنص واصـطبر
وخذ مقتضىٰ الآثار والوحي في الـذي ... تنـازع فيـه النـاس مـن هـذه الفِقَـر
فما لـذوي التحصيل عـذر بترك مـا ... أتـاه بـه جبريـل في مُنـزل السـور
وبـيَّن فحـواه النبـي بشـرحه ... وأدىٰ إلىٰ الأصحاب ما عنه قد سطر
فبـالله تـوفيقي وآمـل عفـوه ... وأسـأله حفظًـا يقينـي مـن الغيـر
لأسـعد بـالفوز المبـين مسـابقًا ... إلىٰ جنة الفـردوس في صالح الزمر

وقد قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٨٧): قلت: لسعد قصيدة في قواعد أهل السنة. ثم ذكر جزءًا منها.

العشرون: الإمام الكبير أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار، المتوفىٰ سنة ٤٨٩هـ.

صاحب كتاب: (الانتصار لأهل الحديث)، وهو مفقود، ينقل منه تلميذه:







قوام السنة إسماعيل التيمي صاحب كتاب (الحجة في بيان المحجة)، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ

ترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ١١٤- ١١٦): الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان ثم الشافعي... تعصَّب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكًا في أعين المخالفين، وحُجَّة لأهل السنَّة. انتهىٰ.

وترجم له السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٥/ ٣٣٥) بقوله: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله التميمي، الإمام الجليل العلم، الزاهد الورع، أحد أئمة الدنيا: أبو المظفر ابن الإمام أبي منصور ابن السمعاني، الرفيع القدر، العظيم المحل، المشهور الذكر، أحد من طبق الأرض ذكره، وعبق الكون نشره. انتهىٰ.

الحادي والعشرون: الإمام البغوي المحدث المفسر، شيخ الإسلام، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، المتوفىٰ سنة ٥١٦هـ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره المسمىٰ بـ«معالم التنزيل» (٢/ ٣٠٦): ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف: ٥٤]. قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنَّة فيقولون: الاستواء علىٰ العرش صفة الله تعالىٰ بلا كيف، يجب علىٰ الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ





وسأل رجل مالك بن أنسٍ عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا. ثم أمر به فأخرج. انتهىٰ.

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٣٩-٤٤١) بقوله: الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسِّر، صاحب التصانيف، كـ: (شرح السنة)، و(معالم التنزيل)، و(المصابيح)، وكتاب (التهذيب) في المذهب، و(الجمع بين الصحيحين)، و(الأربعين حديثًا)، وأشياء.

تفقه علىٰ شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروذي صاحب (التعليقة) قبل الستين وأربع مائة... وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيدًا إمامًا، عالمًا علامة، زاهدًا قانعًا باليسير، كان يأكل الخبز وحده؛ فعذل في ذلك فصار يأتدم بزيت، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. بُورك له في تصانيفه، ورُزق فيها القبول التام؛ لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يلقي الدرس إلا علىٰ طهارة، وكان مقتصدًا في لباسه، له ثوب خام، وعمامة صغيرة علىٰ منهاج السلف حالًا وعقدًا، وله القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٥٤٨) بقوله: الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة محيي السنة، أبو محمد البغوي، ويعرف بابن الفراء، الفقيه الشافعي، أحد أئمة المذهب في التفسير والحديث





والفقه، صاحب: «معالم التنزيل»، و«شرح السنة»، و«التهذيب»، و«الجمع بين الصحيحين»، و«المصابيح»، وغير ذلك من المصنفات المفيدة المشهورة، تفقَّه علىٰ القاضي حسين بن محمد صاحب التعليقة، وكان قانعًا باليسير ورعًا، يأكل الخبز وحده؛ فعذل في ذلك فصار يأكله بالزيت، وكان دينًا عالمًا عاملًا علىٰ طريقة السلف ومنهجهم، وكان لا يلقي الدرس إلا علىٰ طهارة. انتهىٰ.

وقال العلامة الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٩٩) عن تفسيره (معالم التنزيل): هو شجًىٰ في حلوق الجهمية والمعطلة. انتهىٰ.

وترجم له السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٧/ ٧٥) بقوله: الحسين بن مسعود الفراء، الشيخ أبو محمد البغوي، صاحب التهذيب، الملقب بمحيي السنة، من مصنفاته: «شرح السنة»، و«المصابيح»، والتفسير المسمىٰ «معالم التنزيل»، وله فتاوىٰ مشهورة لنفسه غير فتاوىٰ القاضي الحسين التي علقها هو عنه، كان إمامًا جليلًا ورعًا زاهدًا فقيهًا محدثًا مفسرًا، جامعًا بين العلم والعمل، سالكًا سبيل السلف، له في الفقه اليد الباسطة، تفقه علىٰ القاضي الحسين وهو أخص تلامذته به. انتهىٰ.

الثاني والعشرون: الإمام أبو نعيم الأصبهاني عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني المعروف بابن الحداد، المتوفىٰ سنة ٥١٧هـ.

له مؤلف مختصر نافع في العقيدة، نقل عنه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٢٧٩) جزءًا منه فقال: قال في عقيدته: وأن الله سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضىٰ، ويسخط ويضحك ويعجب،







ويتجلىٰ لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا كيف يشاء فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟» حتىٰ يطلع الفجر، ونزول الرب تعالىٰ إلىٰ سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول؛ فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة العارفين علىٰ هذا.

ثم قال: وأن الله استوىٰ علىٰ عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل؛ فالاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه سبحانه بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق، والواحد الغني عن الخلق.

وقال أيضًا: طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة. وساق ذكر اعتقادهم ثم قال: وأن مما اعتقدوه أن الله في سمائه دون أرضه. وساق بقيته... انتهىٰ.

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٨٦) بقوله:

الإمام، الحافظ المتقن، الثقة العابد الخير: أبو نعيم عبيد الله ابن الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني، الحداد، مفيد أصبهان في زمانه. انتهىٰ.

الثالث والعشرون: قوام السنة شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني، المتوفىٰ سنة ٥٣٥هـ، صاحب الكتاب العظيم (الحجة في بيان المحجة).

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٦٩) بقوله:

الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل






بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي، التيمي، ثم الطلحي، الأصبهاني، الملقب: بقوام السنة، مصنف كتاب «الترغيب والترهيب»... قال أبو موسىٰ المديني: أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه... وقال أبو موسىٰ: ولا أعلم أحدًا عاب عليه قولًا ولا فعلًا، ولا عانده أحد إلا ونصره الله، وكان نزه النفس عن المطامع، لا يدخل علىٰ السلاطين، ولا علىٰ من اتصل بهم، قد أخلىٰ دارًا من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده، ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يرتفع عنده، أملىٰ ثلاثة آلاف وخمس مائة مجلس، وكان يملي علىٰ البديهة.

وقال الحافظ يحيىٰ بن منده: كان أبو القاسم حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، قليل الكلام، ليس في وقته مثله...

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٥٩١) بقوله:... الملقب بقوام السنة، أحد أئمة الشافعية وجهابذة الحديث ونقادهم... ورحل وطوف وجال وصنف، وتكلم في الجرح والتعديل وأسماء الرجال، وجاور بمكة سنة. انتهىٰ.

الرابع والعشرون: الإمام الكبير أبو الحسن الكرجي محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر، المتوفىٰ سنة ٥٣٢هـ.

له كتاب عظيم في نصرة عقيدة السلف أهل السنة والجماعة بعنوان: «الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول»، وهذا الكتاب مفقود، وهو مذكور في ترجمته ومنسوب إليه، وينقل عنه العلماء المتقدمون في كتبهم، وله منظومة عظيمة في العقيدة، نقل الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ






طرفًا منها في كتابه «العلو للعلي الغفار» ص (٢٦٢)، حيث قال: قال العلامة أبو الحسن الكرجي الشافعي صاحب شيخ الإسلام الهروي في عقيدته الشهيرة أولها:

محاسن جسمي بدلت بالمعائب	وشيب فودي شوب وصل الحبائب
وأفضل زاد للمعاد عقيدة	علىٰ منهج في الصدق والصبر لاحب
عقيدة أصحاب الحديث فقد سمت	بأرباب دين الله أسنىٰ المراتب
عقائدهم أن الإله بذاته	علىٰ عرشه مع علمه بالغوائب
وأن استواء الرب يعقل كونه	ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب

وهذه القصيدة طويلة أزيد من مائتي بيت، وكان ناظمها الكرجي من كبار الفقهاء الشافعية، مات سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. انتهىٰ.

وقال (ص ٢٣٦): وعلىٰ هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين بن الصلاح: هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «تاريخ الإسلام» (٣٦/ ٢٩٥- ٢٩٦) بقوله:** الإمام أبو الحسن الكرجي، الفقيه الشافعي... قال ابن السمعاني: رأيته بالكرج، إمام، ورع، فقيه، مفت، محدث خير، أديب، شاعر.

أفنىٰ عمره في جمع العلم ونشره.

وكان لا يقنت في الفجر ويقول: قال الشافعي: إذا صح الحديث فاتركوا قولي وخذوا بالحديث. وصح عندي أن النبي ﷺ ترك القنوت في صلاة الصبح.





وله القصيدة المشهورة في السنة، نحو مائتي بيت، شرح فيها عقيدة السلف، وله تصانيف في مذهب التفسير.

كتبت عنه الكثير، وتوفي في شعبان.

قلت: أول قصيدته:

محاسن جسمي بدلت بالمعايب ... وشيب فودي شوب وصل الحبائب

منها:

عقائدهم أن الإله بذاته ... علىٰ عرشه مع علمه بالغوائب

ومنها:

ففي كَرَج والله من خوف أهلها ... يذوب بها البدعي بأشر ذائب

يموت ولا يقوىٰ لإظهار بدعة ... مخافة حز الرأس من كل جانب

انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (٢/ ٦٠٦-٦٠٧) بقوله: محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الإمام أبو الحسن الكرجي الفقيه الشافعي، تلميذ الشيخ أبي إسحاق الشيرازي... وروىٰ عنه جماعة، منهم: الحافظ أبو موسىٰ المديني، وأبو سعد ابن السمعاني، وقال: رأيته بالكرج، وهو إمام ورع، فقيه، مفت، محدث خير، أديب، شاعر، أفنىٰ عمره في جمع العلم ونشره، وكان لا يقنت في الفجر ويقول: قال الشافعي: إذا صح الحديث فاتركوا قولي وخذوا بالحديث. وقد صح عندي أن النبي ﷺ ترك القنوت في صلاة الصبح. قال: وله القصيدة المشهورة في السنة نحو مائتي



بيت، شرح فيها عقيدة السلف، وله تصانيف في المذهب والتفسير، كتبت عنه الكثير، وتوفي في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة.

قلت: وله كتاب «الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول»، حكىٰ فيه عن أئمة عشرة من السلف: مالك، وأبي حنيفة، والليث، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: أقوالهم في أصول العقائد، ويحكي فيه عن أئمة أصحابنا بالأسانيد أشياء مليحة وطرفًا وغرائب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن شعره:

والعلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سواه أغاليط وأظلام

دعائم الدين آيات مبينة ... وبينات من الأخبار أعلام

قول الإله وقول المصطفىٰ وهما ... لكل مبتدع قهر وإرغام

وله أيضًا:

كل العلوم سوىٰ القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوىٰ ذاك وسواس الشياطين

انتهىٰ.

الخامس والعشرون: الإمام أبو بكر السلماسي يحيىٰ بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أبي طاهر الأزدي الواعظ، توفي سنة ٥٥٠هـ.

ترجم له تلميذه الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٤٥)، وقال في أثناء ترجمته: ووقعت له علىٰ كتاب صنفه في فضل الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ ما به بأس، وكان له نظم ونثر، وكان ذا







ثروة، وكان معه علمان أسودان من أعلام الخليفة ينصبها علىٰ كرسيه وقت وعظه، وكان يذهب مذهب أحمد بن حنبل في الأصول، وينتحل مذهب الشافعي في الفروع. انتهىٰ.

وله كتاب عظيم نافع بعنوان (منازل الأئمة الأربعة)، ترجم فيه للأئمة الأربعة، وأبان اتفاقهم في أصول العقيدة التي دل عليها الكتاب والسنة، وكان عليها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبيَّن في مقدمة كتابه أن الحامل له علىٰ جمعه الرد علىٰ الذين يروجون بين العامة أن بين الأئمة اختلافًا في العقائد، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه «منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد» ص (٥٤ - ٥٥): ثم يثيرون الفتن بين العوام، ويوقعون الخلاف بين الأنام، بتحريف مقالات أرباب المذاهب وأصحاب المناصب، ويخيلون إليهم أن بين الأئمَّة وفقهاء الأمَّة خلافًا في المعتقد والأصول، يطلبون بذلك إثارة الفضول؛ طلبًا للتقدم والرئاسة، وادعاءً للفهم والكياسة، وتنافسًا علىٰ ازدحام الجهال عليهم، وتسوقًا عندهم لاجتذاب ما لديهم، حتىٰ تشوشت قلوب العوام، ووقع بينهم الخلاف بل القتال بما يوردونه من زخرف الكلام، وصارت طوائف الأنام من المتبعين في الفروع مذاهب الأئمة الأعلام الفقهاء السادة الكرام يلعن في الاعتقاد بعضهم بعضًا، ويبدي كلُّ واحدٍ لصاحبه عداوة وبغضًا، ظنًّا منهم أنهم اختلفوا في الأصول حسب اختلافهم في الفروع؛ لقلة معرفتهم بأحوالهم، وعدم الوقوف علىٰ أقوالهم، لم يقرءوا العلم علىٰ انتقاد، ولم يطالعوا تصانيف الجهابذة العارفين بالانتقاد، بل تلقفوا من أفواه بعض المبتدعة كذبًا وباطلًا، وطالعوا من تصانيفهم ما يصير الإنسان به عن الصراط السوي




عادلًا، ولم يعلموا أن الخلاف في التوحيد يؤدي إلىٰ الكفر والتلحيد، إنما الخلاف المحمود في فروع الشرع وفصوله، لا في قواعد أحكامه وأصوله، والفقهاء الأئمة الذين اشتهر عنهم في الفروع الاختيار، وظهر لهم الاجتهاد والاختبار، وكثر لهم الأتباع والأشياع، وحق علىٰ العوام لهم الاتباع، وتعطر بذكرهم الأقطار والأصقاع، وبرز في تمهيد أقوالهم الأصحاب من الحواضر والبوادي، وانعمرت بمناظرتهم المجالس والنوادي؛ أربعة: أبو حنيفة بالكوفة، ومالك بدار الهجرة، والشافعي بمكة حرم الله، وأحمد بمدينة السلام، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة منقلبهم ومقتضاهم.

فهم وإن اختلفت عنهم العبارات فقد اتفقت منهم الاعتقادات، كل واحد منهم مزكي الأمة وإمام الأئمة، محكم تعديله وجرحه، مسلم قبوله وطرحه، لا يخالف أحدُهم صاحبَه إلا في فرع مختلف فيه، لا يفسقه ولا يغويه، مثل لقطة الحرام وتوريث ذوي الأرحام.

فأما الكلام في صفات ذي الجلال والإكرام، وما يتعلق بأسمائه الحسنىٰ وصفاته المباينة لصفات الأنام؛ فلا خلاف في ذلك بينهم، ولا يؤثر تفرق عنهم يوجب كذبهم ومينهم، بل كلمتهم فيها متفقة وأقوالهم متسقة، سلكوا سبيل الاتباع دون الابتداع فيما نقلوا عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ورووا، وتمسكوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ...﴾ [البقرة: ١٣٧].

فرأيت من الواجب أن أذكر من اتفاقهم في المعتقد فصولًا، وأورد من ذلك فصوصًا ونصوصًا، وأبيِّن عمومًا وخصوصًا، وأنثر طرفًا من طرف مطارفهم،







وأذكر نتفًا من تحف مآثرهم ومعارفهم؛ لينتهي الناس عن ذكرهم بما ليس فيهم. انتهىٰ.

السادس والعشرون: الإمام العلامة الكبير ابن أبي الخير العمراني، أبو الخير يحيىٰ بن أبي الخير سالم بن أسعد بن يحيىٰ العمراني، فقيه الشافعية في البلاد اليمنية، المتوفىٰ سنة ٥٥٨هـ.

صاحب كتاب «البيان»، وكتاب «الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة الأشرار».

ترجم له الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٧٨) بقوله**: صاحب البيان: هو أبو الخير يحيىٰ بن أبي الخير سالم بن أسعد بن يحيىٰ العمراني بن عمران، من قرية من اليمن يقال لها: مصنعة سير، كان يحفظ المهذب، ويقوم به ليله، وشرحه بالبيان، نشر العلم ببلاد اليمن، ورحل إليه، وصنف البيان، وغرائب الوسيط للغزالي، وغير ذلك. توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٨/ ٢٧٧) بقوله: يحيىٰ بن سالم بن أسعد بن يحيىٰ، الفقيه، أبو الخير بن أبي الخير العمراني، الشافعي.

مصنف كتاب «البيان» في المذهب.

قيل: إنه كان يكرر علىٰ «المهذب» لأبي إسحاق، فكان يقرؤه في ليلة واحدة، وله مصنفات مفيدة، منها: «غريب كتاب الوسيط» للغزالي، نشر العلم باليمن، ورحل الناس إليه، وتفقهوا عليه. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «طبقات الشافعيين» (١/ ٦٥٤) بقوله**: صاحب البيان وزوائد المهذب، كان إمامًا بارعًا، كتابه يدل علىٰ فضائله






الجمة، وفوائده المهمة، وعلومه الغزيرة، وفنونه الكثيرة، توفي سنة ثمان وخمسين وخمس مائة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ. انتهىٰ.

وترجم له السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٧/ ٣٣٦) بقوله:
يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن موسىٰ بن عمران العمراني اليماني، الشيخ الجليل أبو الحسين شيخ الشافعيين بإقليم اليمن، صاحب البيان وغيره من المصنفات الشهيرة... وكان إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا خيرًا، مشهور الاسم، بعيد الصيت، عارفًا بالفقه والأصول والكلام والنحو، أعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي في الفقه والأصول والخلاف، يحفظ المهذب عن ظهر قلب، وقيل: كان يقرؤه في ليلة واحدة.

قال ابن سمرة: وكان ورده في الليلة أكثر من مائة ركعة بسبع من القرآن العظيم... وكان من أحسن العلماء تعليمًا، قيل: كان يقرر للطالب الفصل من «المهذب» ثم يعيده هو علىٰ الطالب حفظًا، ثم ينبهه علىٰ خلاف مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معهما غيرهما، ثم يذكر احترازات «المهذب»، ثم يذكر الأدلة ويقرر الأقيسة بأوضح عبارة، ويكررها بعبارات مختلفة إلىٰ أن ترسخ في ذهن الطالب. انتهىٰ.

وترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٦/ ٣٠٩) بقوله: يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم اليماني، صاحب «البيان»، ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وتفقه علىٰ جماعات، منهم زيد اليفاعي، وكان شيخ الشافعية ببلاد اليمن، وكان إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا خيرًا، مشهور الاسم، بعيد الصيت، عارفًا بالفقه وأصوله، والكلام والنحو، من أعرف أهل الأرض




بتصانيف الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ويحفظ «المهذب» عن ظهر قلب، وقيل: إنه كان يقرؤه في كل ليلة، وكان ورده في كل ليلة أكثر من مائة ركعة بسبع القرآن العظيم، ورحل إليه الطلبة من البلاد، ومن تصانيفه «البيان» في نحو عشر مجلدات، وهو كاسمه، وفيه قيل:

لله شـيـخ مـن بنـي عمـران ... قـد شـاد قصر العلم بالأركـان

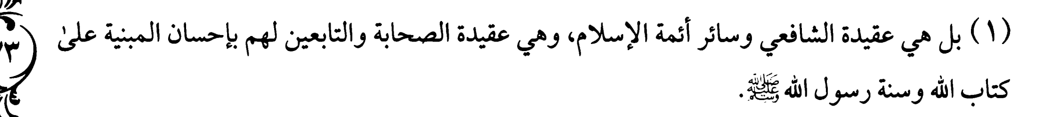
يحيىٰ لقـد أحيا الشـريعة هاديًـا ... بزوائـد وغرائـب وبيـان

هـو درة اليمن الـذي مـا مثلـه ... مـن أول في عصـرنا أو ثـان

وكان حنبلي العقيدة[1]، شافعي الفروع، كما قال ابن الأهدل كالآجري صاحب كتاب «الشريعة».

قال ابن شهبة وغيره: وله في علم الكلام كتاب «الانتصار في الرد علىٰ القدرية الأشرار» ينصر فيه عقيدته، وتحامل فيه علىٰ الأشاعرة، واختصر «الإحياء»، وله كتاب «السؤال عما في المهذب من الإشكال»، وانتقل في آخر أمره من سير إلىٰ ذي سفال، ثم مات بها مبطونًا شهيدًا، وما ترك فريضةً في جملة مرضه، ونازع ليلتين وهو يسأل عن أوقات الصلاة، ومحاسنه ومصنفاته كثيرة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ. انتهىٰ.

السابع والعشرون: الإمام الحافظ الكبير المعمر أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني، المتوفىٰ سنة ٥٧٦هـ، عاش مئة وست سنين.



(١) بل هي عقيدة الشافعي وسائر أئمة الإسلام، وهي عقيدة الصحابة والتابعين لهم بإحسان المبنية علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ترجم له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥): الإمام، العلامة، المحدث، الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام، شرف المعمرين، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، الجرواني...

وقال (ص ٧): قال الإمام أبو شامة: سمعت شيخنا علم الدين السخاوي يقول: سمعت يومًا أبا طاهر السلفي ينشد لنفسه ما قاله قديمًا:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئةْ

جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المئةْ

قال: فقيل له: قد حقق الله رجاءك؛ فعلمت أنه قد جاز المائة، وذلك في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة.

وقد ذكر غير واحد: أن السلفي ممن نيف على المائة عام، حتى إن تلميذه الوجيه عبد العزيز بن عيسى قال: مات وله مائة وست سنين.

وقال (ص ١٧): ارتحل إليه خلق كثير جدًّا، ولا سيما لما زالت دولة الرفض عن إقليم مصر وتملكها عسكر الشام، فارتحل إليه السلطان صلاح الدين وإخوته وأمراؤه، فسمعوا منه.

وقال (ص ٢٢): قال أبو علي الأوقي: سمعت أبا طاهر السلفي يقول: لي ستون سنة بالإسكندرية ما رأيت منارتها إلا من هذه الطاقة. وأشار إلى غرفة يجلس فيها.

وقال (ص ٢٤): قال عبد القادر الحافظ: وكان أبو طاهر لا تبدو منه جفوة لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبزق، ولا يتورك، ولا تبدو له



قدم، وقد جاز المائة.

بلغني أن سلطان مصر حضر عنده للسماع، فجعل يتحدث مع أخيه، فزبرهما، وقال: أيش هذا؟ نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان؟! انتهىٰ.

ثم ساق له الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصيدةً في مدح أهل الحديث وبيان معتقده الصحيح بطولها، ومنها قوله:

وها أنا شارع في شرح ديني ... ووصف عقيدتي وخفي حالي

وأجهد في البيان بقدر وسعي ... وتخليص العقول من العقال

بشعر لا كشعر بل كسحر ... ولفظ كالشمول بل الشمال

فلست الدهر إمعة وما إن ... أزل ولا أزول لذي النزال

فلا تصحب سوىٰ السني دينًا ... لتحمد ما نصحتك في المآل

وجانب كل مبتدع تراه ... فما إن عندهم غير المحال

ودع آراء أهل الزيغ رأسًا ... ولا تغررك حذلقة الرذال

فليس يدوم للبدعي رأي ... ومن أين المقر لذي ارتحال

يوافىٰ حائرًا في كل حال ... وقد خلىٰ طريق الاعتدال

ويترك دائبًا رأيًا لرأي ... ومنه كذا سريع الانتقال

وعمدة ما يدين به سفاهًا ... فإحداث من ابواب الجدال

وقول أئمة الزيغ الذي لا ... يشابهه سوىٰ الداء العضال

كمعبدٍ المضلَّل في هواه ... وواصل أو كغيلان المحال



وجعـد ثـم جهـم وابـن حـرب ... حميـر يسـتحقون المخـالي

وثـور كاسـمه أو شـئت فاقلـب ... وحفـص الفـرد قـرد ذي افتعـال

وبشـر لا أرىٰ بشـرىٰ فمنـه ... تولـد كـل شـر واختـلال

وأتبـاع ابـن كـلاب كـلاب ... علـىٰ التحقيـق هـم مـن شـر آل

كـذاك أبـو الهـذيل وكـان مـولًىٰ ... لعبـد القـيس قـد شـان المـوالي

ولا تـنس ابـن أشـرس المكنـىٰ ... أبـا معـن ثمامـة فهـو غـالي

ولا ابـن الحـارث البصـري ذاك الـ ... مضـل علـىٰ اجتهـاد واحتفـال

ولا الكـوفي أعنيـه ضـرار بـ ... ن عمـرو فهـو للبصـري تـالي

كـذاك ابـن الأصـم ومـن قفـاه ... مـن اوبـاش البهاشـمة النغـال

وعمـرو هكـذا أعنـي ابـن بحـر ... وغيـرهم مـن أصـحاب الشـمال

فـرأي أولاء لـيس يفيـد شـيئًا ... سـوىٰ الهـذيان مـن قيـل وقـال

وكـل هـوًىٰ ومحدثـة ضـلال ... ضـعيف في الحقيقـة كالخيـال

فهـذا مـا أديـن بـه إلهـي ... تعـالىٰ عـن شـبيه أو مثـال

ومـا نافـاه مـن خـدع وزور ... ومـن بـدع فلـم يخطـر ببـالي

صدق الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجاد، فلأن يعيش المسلم أخرس أبكم خير له من أن يمتلئ باطنه كلامًا وفلسفة. انتهىٰ.

وقال (ص ٣٩): قال المحدث وجيه الدين عبد العزيز بن عيسىٰ اللخمي قارئ الحافظ السلفي: توفي الحافظ في صبيحة يوم الجمعة، خامس شهر ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمس مائة، وله مائة سنة وست سنين. كذا قال في






سنه، فوهم الوجيه.

ثم قال: ولم يزل يقرأ عليه الحديث يوم الخميس إلىٰ أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يرد علىٰ القارئ اللحن الخفي، وصلىٰ يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر، وتوفي بعدها فجاءة.

قلت: وكذا أرخ موته غير واحد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له -، وقبره معروف بظاهر الإسكندرية، وكان يطأ أهله ويتمتع وإلىٰ قريب وفاته، وإنما تزوج وقد أسن بعد سنة خمسين وخمس مائة. انتهىٰ.

وقال في «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٥٧٢): وكان إمامًا مقرئًا مجودًا، ومحدثًا حافظًا جهبذًا، وفقيهًا متقنًا، ونحويًّا ماهرًا، ولغويًّا محققًا، ثقة فيما ينقله، حجة، ثبتًا، انتهىٰ إليه علو الإسناد في البلاد، وقد جمع معجمًا ثالثًا لباقي البلدان التي سمع بها، سوىٰ أصبهان، وبغداد؛ فإن لكل واحدة معجمًا... ولا أعلم أحدًا في الدنيا حدث نيفًا وثمانين سنة سوىٰ السلفي. انتهىٰ.

وترجم له الحافظ ابن كثير في «طبقات الشافعيين» (١/ ٦٨٣) فقال: الحافظ الكبير الشهير أبو طالب بن أحمد بن سلفة الأصبهاني الجرواني... وأتقن مذهب الشافعي علىٰ إلكيا الهراسي، وأبي بكر الشاشي، وأبي القاسم يوسف بن علي الزنجاني. انتهىٰ.

وترجم له السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٦/ ٣٢- ٣٩)، ومما ذكر في ترجمته:

ويحكىٰ عن السلفي أنه كان إذا اشتد الطلق بامرأة جاء أهلها إليه، فكتب لهم ورقة تعلق عليها فتخلص بإذن الله تعالىٰ، ولا يعلم ما يكتب فيها، ثم كشف






عن ذلك فإذا هو يكتب فيها: اللهم إنهم ظنوا بنا خيرًا فلا تخيِّبنا ولا تكذِّب ظنهم.

وكان السلفي مغرًىٰ بجمع الكتب، حصل منها الكثير، وكتب بخطه لا سيما من الأجزاء ما لا يعد كثرة. انتهىٰ.

الثامن والعشرون: الإمام مفتي الإسلام أبو عمرو بن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الشافعي، المتوفىٰ سنة ٦٤٣هـ.

ترجم له **الحافظ الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ١٤٠)** بقوله: الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن عثمان بن موسىٰ الكردي، الشهرزوري، الموصلي، الشافعي، صاحب (علوم الحديث) ... كان ذا جلالة عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة، صحيح النحلة، كافًّا عن الخوض في مزلات الأقدام، مؤمنًا بالله وبما جاء عن الله من أسمائه ونعوته، حسن البزة، وافر الحرمة، معظمًا عند السلطان. انتهىٰ.

وترجم له في **«تاريخ الإسلام» (١٤/ ٤٥٥)** بقوله: الإمام مفتي الإسلام تقي الدين أبو عمرو ابن الإمام البارع أبي القاسم صلاح الدين النصري، الكردي، الشهرزوري، الشافعي... وكان حسن الاعتقاد علىٰ مذهب السلف، يرىٰ الكفَّ عن التأويل، ويؤمن بما جاء عن الله ورسوله علىٰ مرادهما، ولا يخوض ولا يتعمق، وفي فتاويه: سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة؟ فأجاب: الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة. ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين. ومن تلبس بها قارنه






الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد ﷺ.
إلىٰ أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - ولله الحمد - افتقار إلىٰ المنطق أصلًا، وهو قعاقع قد أغنىٰ الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب علىٰ السلطان - أعزه الله - أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٨٥٧):

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسىٰ بن أبي نصر، الإمام العلامة، مفتي الإسلام، تقي الدين أبو عمرو ابن الإمام البارع أبي القاسم صلاح الدين النصري الكردي الشهرزوري الشافعي.



تفقه علىٰ والده، وكان والده شيخ تلك الناحية، وجمع بين طرفي المذهب قبل أن يخضر شاربه، وساد وتفقه ثم ارتحل إلىٰ الموصل، فتفقه علىٰ العماد بن يونس ولازمه حتىٰ أعاد له، ودخل إلىٰ بغداد وطاف البلاد، وسمع من خلق كثير، وجم غفير ببغداد والموصل وهمذان ونيسابور ومرو وحران وغير ذلك، ودخل الشام مرتين، فالمرة الثانية سنة ثلاثين، وولي تدريس دار الحديث، وهو أول من درس بها، ثم ولي تدريس الشامية الجوانية، وكان إمامًا بارعًا حُجَّة متبحرًا في العلوم الدينية، بصيرًا بالمذهب وأصوله وفروعه، له يد طولىٰ في العربية والحديث والتفسير، مع عبادة وتهجد وورع ونسك وتعبد وملازمة للخير علىٰ طريق السلف في الاعتقاد، يكره طرائق الفلسفة والمنطق، يغض منها ولا يمكن من قراءتها بالبلد، والملوك تطيعه في ذلك، له فتاوىٰ سديدة وآراء




رشيدة، ما عدا فتياه الثانية في استحباب صلاة الرغائب، وله إشكالات على الوسيط ومؤاخذات حسنة، وفوائد جمة وتعاليق حسنة، وعلوم الحديث الذي اقتبسه من علوم الحديث للحاكم وزاد عليه، وله كتاب في طبقات الشافعية اختصره الشيخ محيي الدين النووي رحمهما الله. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٧): من الحكايات المشهورة التي بلغتنا: أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا، مع أن الآمدي لم يكن أحد في وقته أكثر تبحرًا في العلوم الكلامية والفلسفية منه، وكان من أحسنهم إسلامًا وأمثلهم اعتقادًا. انتهىٰ.

التاسع والعشرون: القاضي العلامة عبد القاهر بن عبد الواحد بن محمد التبريزي الشافعي، توفي سنة ٧٤٠هـ.

ترجم له تلميذه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «معجم الشيوخ الكبير» (١/ ٤٠٨- ٤١٠) فقال: عبد القاهر بن عبد الواحد بن محمد، الخطيب البليغ، أقضىٰ القضاة، جمال الدين، أبو محمد التبريزي ثم الحراني ثم الدمشقي الشافعي، أصله من بخارىٰ، ومولده بحران، ومنشؤه واشتغاله بدمشق.

ولد سنة ثمان وأربعين وست مائة، وولي قضاء عجلون، وقضاء صفد، وقضاء سلمية، وأنشأ خطبًا بديعة، وله نظم رائق، وشكل مهيب.

أنشدنا القاضي عبد القاهر لنفسه سنة أربع وسبع مائة:

كَـمْ بَـيْـنَ بَـانِ الأَجْـرَعِ وَرَامَـةٍ وَلَعْلَـعِ ... مِنْ قَلْبِ صَبٍّ مُوجِعٍ سَكْرَانَ وَجْدٍ لا يَعِي





تَرَاهُ مَا بَيْنَ الْحُلَلِ جَرِيحَ أَسْيَافِ الْمُقَلِ ... فَارْفُقْ بِهِ وَلا تَسَلْ عَنْ قَلْبِهِ الْمُضَيَّعِ

وَدَّ الحِمَىٰ فَأَخْلَصَا إِذْ حَقُّهُ قَدْ حَصْحَصَا ... فَوُدُّهُ أَنْ يَخْلُصَا مِنَ الْحَضِيضِ الأَوْضَعِ

إِلَىٰ الْمَقَامِ الأَوَّلِ وَمَعْهَدِ الأُنْسِ الْحَلِي ... وَالْمَرْبَعِ السَّامِي الْعَلِي سُقْيًا لَهُ مِنْ مَرْبَعِ

رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ الْفَضَا لا بِاخْتِيَارِي وَالرِّضَا ... فَيَا زَمَانًا قَدْ مَضَىٰ إِنْ عَادَ مَاضٍ فَارْجِعِ

وَارْكَعْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَىٰ رُكُوعَ خَوْفٍ وَرَجَا ... وَعُدَّ فِي سُفْنِ النَّجَا إِلَىٰ الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ

عَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ وَقُمْ طَوِيلًا وَاسْجُدِ ... وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاشْرَبْ كُئُوسَ الأَدْمُعِ

قِفْ عِنْدَ حُكْمِ الْمُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ مَا تَحَرُّفِ ... وَإِن تَخُضْ وَقَعْتَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ

فَإِنَّهُ كَلامُهُ أَعْيَا الْوَرَىٰ نِظَامُهُ ... وَبَهَرَتْ أَحْكَامُهُ الْغُرُّ جَمِيعَ الشِّيَعِ

مِنْهُ كَمَا جَاءَ بَدَا فَكُنْ بِهِ مُعْتَضِدًا ... وَلا تُجَادِلْ أَحَدًا فِي آيَةٍ وَارْتَدِعِ

وَلا تُأَوِّلْ مَا وَرَدْ للهِ مِنْ سَمْعٍ وَيَدْ ... وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ قَوْلَ امْرِئٍ مُتَّبِعِ

وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَىٰ ذَا الْوَجَلْ ... لَمَّا تَجَلَّىٰ لِلْجَبَلْ جَهْرًا كَلامًا مُسْمِعِ

أَصْغَىٰ إِلَيْهِ فَوَعَىٰ بِأُذْنِهِ مَا سَمِعَا ... ثُمَّ أَجَابَ مُسْرِعًا جَوَابَ ثَبْتٍ أَرْوَعِ

وَلا تُوَافِقْ مَنْ غَوَىٰ وَقُلْ بِأَنَّ ذَا الْقُوَىٰ ... حَقًّا عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ كَمَا أَرَادَ فَاسْمَعِ

وَهُوَ تَعَالَىٰ فِي السَّمَا عَالٍ وَمَعْنَا أَيْنَمَا ... بِغَيْرِ كَيْفٍ لا كَمَا يَخْطُرُ لِلْمُبْتَدِعِ

مَنْ قَاسَهُ مِنَ الْبَشَرْ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرْ ... وَقَدْ أَطَاعَ وَنَصَرْ أَمْرَ الْهَوَىٰ الْمُتَّبَعِ

وَيْلاهُ مِنْ وَزْنِ الْعَمَلْ وَبَحْرُهُ نَدِي وَشَلْ ... قَدْ غَاضَ طَامِيهِ وَقَلَّ فَمَا تَرَىٰ فِي مَنْبَعِ

وَاعْتَرَضَتْ جَهَنَّمُ وَنَارُهَا تَضْطَرِمُ ... وَكُبَّ فِيهَا الْمُجْرِمُ وَقِيلَ يَا نَارُ ابْلَعِي

وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ تَزَخْرَفَتْ لِمَنْ عَبَدْ ... وَقَامَ لَيْلًا وَسَجَدْ فِي طِمْرِهِ الْمُرَقَّعِ



وَنُهِّـدَتْ أَبْكَارُهَـا وَاطَّـرَدَتْ أَنْهَارُهَـا ... وَغَـرَّدَتْ أَطْيَارُهَا فِي كُـلِّ غُصْـنٍ مُونِـعِ

يَـا مَـنْ لَـهُ تَبَتُّلِـي فِـي كُـلِّ لَيْـلٍ أَلْيَـلِ ... وَمَـنْ إِلَيْـهِ مَـوْئِلِي دُونَ الْـوَرَىٰ وَمَفْـزَعِ

صَلِّ عَلَىٰ خَيْرِ الْبَشَرْ مِنْ كُلِّ أُنْثَىٰ وَذَكَـرْ ... مُحَمَّـدٍ وَجْـهِ الْقَمَـرْ ذِي الْجَانِـبِ الْمُمَنَّـعِ

انتهىٰ.

الثلاثون: الحافظ الكبير والناقد البصير مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، صاحب كتاب «العلو للعلي الغفار»، و«تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء»، وغيرها.

ترجم له تلميذه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٤٣)** بقوله: الشيخ الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انتهىٰ.

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد الوافر» - ص (٦٥) وما بعدها -: الشيخ الإمام الحافظ الهمام، مفيد الشام ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الدمشقي ابن الذهبي الشافعي... كان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالمًا بالتفريع والتأصيل، إمامًا في القراءات، فقيهًا في النظريات، له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات، قائمًا بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف، وله المصنفات المفيدة، والمختصرات الحسنة، والمصنفات السديدة. انتهىٰ.

وقال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «ذيله علىٰ تذكرة الحفاظ» ص (٣٤٧-٣٤٨)**: الإمام الحافظ، محدث العصر وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد




الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، ثم الدمشقي المقرئ. انتهىٰ.

وقال (ص ٢٣١): حكي عن شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر أنه قال: شربت ماء زمزم لأصل إلىٰ مرتبة الذهبي في الحفظ. انتهىٰ.

وترجم له تلميذه تاج الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ١٠٠- ١٠٢)، فقال: شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي محدث العصر... وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهبُ العصر معنًىٰ ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمَّة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، وكان محط رحال تغيبت، ومنتهىٰ رغبات من تغيبت، تعمل المطي إلىٰ جواره وتضرب البزل المهاري أكبادها فلا تبرح أو تنبل نحو داره.

وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة، جزاه الله عنا أفضل الجزاء، وجعل حظَّه من غرفات الجنان موفر الأجزاء، وسعده بدرًا طالعًا في سماء العلوم يذعن له الكبير والصغير من الكتب، والعالي والنازل من الأجزاء... وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل ناد، وهو بين أكنافها كنف لأهليها، وشرف تفتخر وتزهىٰ به الدنيا وما فيها، طورًا تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها وقهقهة عذرانها، وتارة تلبس ثوب الوقار والفخار بما اشتملت عليه من إمامها المعدود في سكانها.

وكان شيخنا - والحق أحق ما قيل، والصدق أولىٰ ما آثره ذو السبيل -






شديد الميل إلىٰ آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة[1]، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم، ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الراغم[2]. انتهىٰ.

وإليك بعض المقولات الذهبية لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٠٥- ٥٠٦) في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام: أخبرنا أبو محمد بن علوان، أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم، أخبرنا عبد المغيث بن زهير، حدثنا أحمد بن عبيد الله، حدثنا محمد بن علي العشاري، أخبرنا أبو الحسن الدارقطني، أخبرنا محمد بن مخلد، أخبرنا العباس الدوري، سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام. وذكر الباب الذي يروىٰ فيه الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وأين كان ربنا، فقال:

---

(١) السبكي يعني بقوله: أهل السنة: الأشاعرة.

(٢) السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشعري متعصب شديد الحنق علىٰ حملة عقيدة السلف الصالح من خيار علماء الملة، فهو يعيِّر شيخَه بميله إلىٰ ما يسميه بآراء الحنابلة في أبواب الصفات، وهي عقيدة المسلمين الصافية النقية المبنية علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهي عقيدة الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين أجمعين؛ كالشافعي ومالك وأحمد، والسفيانين، وابن المبارك، وغيرهم، ولسان حال الحافظ الذهبي كما قيل:

يعيرني الواشون أني أحبها ... وذلك ذنب لست منه أتوب

وينكر علىٰ شيخه نقده للأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة السلف الصالح المبنية علىٰ الوحي المنزل، ويسميهم السبكي أهل السنة، وحاشا أئمتنا أن ينكروا إلا المحدثات، وأن لا يصيحوا إلا بأهلها؛ نصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. والسبكي شديد المحاماة عن عقيدة الخلف الأشعرية وأهلها، شديد الطعن في العقيدة السلفية وأهلها، يصفهم في طبقاته بالمجسمة والحشوية، ويغمطهم حقهم، ويبخسهم، ويطفف المكيال في تراجمهم؛ فأين منزلة السبكي وكتبه من منزلة شيخه الحافظ الذهبي وكتبه؟! وعند الله تجتمع الخصوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.






هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقٌّ لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نفسِّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره.

قلت: قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم، وما أبقوا ممكنًا، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلًا، وهي أهم الدين، فلو كان تأويلها سائغًا أو حتمًا لبادروا إليه؛ فعُلم قطعًا أن قراءتها وإمرارها علىٰ ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك؛ فنؤمن بذلك، ونسكت اقتداءً بالسلف، معتقدين أنها صفات لله تعالىٰ استأثر الله بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين؛ فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلغ وما تعرض لتأويل، مع كون الباري قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٠- ٦١١) في ترجمة نعيم بن حماد: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان، أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي، سمعت نعيم بن حماد يقول: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

قلت: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه، ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذموما:





المقام الأول: تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب؛ فما أَوَّلَهَا السلف، ولا حَرَّفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأَمَرُّوها كما جاءت.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشكلها في الذهن؛ فهذا جهل وضلال. وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف - عَزَّوَجَلَّ - لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه، مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ - تعالىٰ الله عن ذلك - فكذلك صفاته المقدسة، نقر بها ونعتقد أنها حق، ولا نمثلها أصلًا ولا نتشكلها. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٧٦) في ترجمة إسحاق بن راهويه: وورد عن إسحاق: أن بعض المتكلمين قال له: كفرتُ بربٍّ ينزل من سماء إلىٰ سماء.

فقال: آمنتُ بربٍّ يفعل ما يشاء.

قلت: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول قد صحت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها بردٍّ ولا تأويل، بل أنكروا علىٰ من تأولها مع إصفاقهم علىٰ أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها؛ فإن في ذلك محاولة للرد علىٰ الله ورسوله، أو حومًا علىٰ التكييف أو التعطيل. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٢٠): كان أئمة السلف لا يرون الدخول في الكلام، ولا الجدال، بل يستفرغون وسعهم في الكتاب والسنة والتفقه فيهما، ويتبعون، ولا يتنطعون. انتهىٰ.






وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٧٨): قال أحمد بن كامل القاضي: كان يعقوب بن شيبة من كبار أصحاب أحمد بن المعدل، والحارث بن مسكين، فقيهًا، سريًّا، وكان يقف في القرآن.

قلت: أخذ الوقف عن شيخه أحمد المذكور، وقد وقف علي بن الجعد، ومصعب الزبيري، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وجماعة.

وخالفهم نحو من ألف إمام، بل سائر أئمة السلف والخلف علىٰ نفي الخليقة عن القرآن، وتكفير الجهمية، نسأل الله السلامة في الدين. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٦٣٠): قال المروذي: ورد عليَّ كتابٌ من ناحية شيراز أن فضلك قال بناحيتهم: إن الإيمان مخلوق.

فبلغني أنهم أخرجوه من البلد بأعوان.



قلت: هذه من مسائل الفضول، والسكوت أولىٰ، والذي صح عن السلف وعلماء الأثر أن الإيمان قول وعمل، وبلا ريب أن أعمالنا مخلوقة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فصح أن بعض الإيمان مخلوق، وقولنا: لا إله إلا الله، فمن إيماننا؛ فتلفظنا بها أيضًا من أعمالنا.

وأما ماهية الكلمة الملفوظة؛ فهي غير مخلوقة، لأنها من القرآن، أعاذنا الله من الفتن والهوىٰ. انتهىٰ.

وقد ترجم لنفسه ترجمة مختصرة في كتابه «المعجم المختص بالمحدثين» ص (٩٧)، ثم قال: وجمع تواليف، يقال: مفيدة، والجماعة يتفضلون ويثنون عليه، وهو أخبر بنفسه في العلم، والله المستعان ولا قوة إلا به، وإذا سلم لي






إيماني فيا فوزي. انتهىٰ.

وترجم لنفسه في «ذيل ديوان الضعفاء» (١/ ٥٦) فقال: محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي، سيئ الحفظ، ليس بالمتقن ولا بالمتقي. سامحه الله تعالىٰ. انتهىٰ.

وذكر في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٥٧٠) قول هشام الدستوائي: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال: قلت: والله ولا أنا. انتهىٰ.

قلت: لعلهم أرادوا استحضار النية مجددًا عند كل مجلس علم. والله أعلم.

وعلينا أن نقف طويلًا عند هذا التواضع الكبير مع غزارة علمهم، وعلو رتبتهم، وعظيم آثارهم ونفعهم.

ومـن جهلـت نفسـه قـدره ... رأىٰ غيـره منـه مـا لا يـرىٰ

الحادي والثلاثون: الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الكبير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، الشهير بابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفىٰ سنة ٧٧٤ هـ.

صاحب «تفسير القرآن العظيم»، و«البداية والنهاية»، و«طبقات الشافعيين»، وغيرها.

ترجم له شيخه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المعجم المختص بالمحدثين» (١/ ٧٤) بقوله: إسماعيل بن عمر بن كثير، الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارع عماد الدين البصروي الشافعي.

فقيه متقن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه




ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير، والرجال وأحوالهم.

أذكر الإسناد سمع مني، وله حفظ ومعرفة، يدمج قراءته، مولده في سنة نيف وسبع مائة. انتهىٰ.

وترجم له تلميذه أبو المحاسن الدمشقي في «ذيل تذكرة الحفاظ» ص (٣٨) بقوله: ابن كثير الشيخ الإمام، العالم الحافظ، المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع، البصروي الأصل، الدمشقي الشافعي، ولد بمجدل القرية من أعمال مدينة بصرىٰ في سنة إحدىٰ وسبعمائة، إذ كان أبوه خطيبًا بها، ثم انتقل إلىٰ دمشق في سنة ست وسبعمائة، وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري وغيره، وسمع ابن السويدي والقاسم بن عساكر وخلقًا، وصاهر شيخنا الحافظ المزي فأكثر عنه وأفتىٰ ودرس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ.

وقال في «المعجم المختص»: هو فقيه متقن، ومحدث محقق، ومفسر نقاد، وله تصانيف مفيدة. انتهىٰ.

وقد نصر عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في كتبه نصرًا مؤزرًا، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٣/ ٤٢٦): وأما قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]؛ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه،







وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفيٌّ عن الله؛ فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر»، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»، فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله تعالىٰ، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدىٰ. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٥/ ٢٧٣): وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

تقدم الكلام علىٰ ذلك في سورة الأعراف، بما أغنىٰ عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف: إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٨/ ٣٥١): وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم، قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: هذه الآية دليل علىٰ أن المؤمنين يرونه عَزَّوَجَلَّ يومئذ.

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].



وكما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة. انتهىٰ.

الثاني والثلاثون: العلامة المؤرخ تقي الدين المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، المتوفىٰ سنة ٨٤٥هـ.

صاحب كتاب (تجريد التوحيد المفيد)، وهو كتاب عظيم، تكلم فيه عن توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وما يضاد ذلك.

ترجم له تلميذه يوسف بن تغري بردي في كتابه «المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي» (١/ ٤١٥- ٤١٧) فقال: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد، الشيخ الإمام البارع، عمدة المؤرخين، وعين المحدثين تقي الدين المقريزي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة.

مولده بعد سنة ستين وسبعمائة بسنيات، ونشأ بالقاهرة، وتفقه علىٰ مذهب الحنفية، وهو مذهب جده العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ، ثم تحول شافعيًّا بعد مدة طويلة لسبب من الأسباب ذكره لي، وسمع الكثير من الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد الشامي، ومن ناصر الدين محمد بن علي الحراوي، والشيخ برهان الدين الآمدي، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، والحافظ زين الدين العراقي، والهيثمي، وسمع بمكة من ابن سكر والنشاوري وغيرهما، وله إجازة من الشيخ شهاب الدين الأذرعي، والشيخ بهاء الدين أبي البقاء، والشيخ جمال الدين الأسنوي، وغيرهم. وتفقه




وبرع، وصنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم، وكان ضابطًا مؤرخًا، مفننًا، محدثًا، معظمًا في الدول...

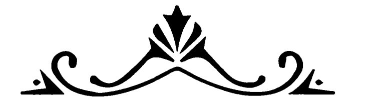
وكان إمامًا مفننًا، كتب الكثير بخطه، وانتقىٰ أشياء، وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره، حتىٰ صار به يضرب المثل، وكان له محاسن شتىٰ، ومحاضرة جيدة إلىٰ الغاية، لا سيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، وكان منقطعًا في داره، ملازمًا للعبادة والخلوة، قَل أن يتردد إلىٰ أحدٍ إلا لضرورة، إلا أنه كان كثير التعصب علىٰ السادة الحنفية وغيرهم لميله إلىٰ مذهب الظاهر... وكان كثير الكتابة والتصنيف، وصنف كتبًا كثيرة، من ذلك: «إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع» في ست مجلدات... وكتاب «السلوك في معرفة دول الملوك» في عدة مجلدات... وله تاريخه الكبير «المقفىٰ في تراجم أهل مصر والواردين إليها»... وكتاب «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» في عدة مجلدات، وهو في غاية الحسن، وكتاب «نحل عبر النحل»، وكتاب «تجريد التوحيد»، وكتاب «مجمع الفرائد ومنبع الفوائد»، كمل منه نحو الثمانين مجلدًا. انتهىٰ.

وقال عنه شمس الدين الغزي في كتابه «ديوان الإسلام» (٤/ ١٩٧): المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، الإمام المؤرخ الإخباري الشيخ تقي الدين أبو العباس القاهري الشافعي، صاحب المؤلفات الحافلة؛ كالخطط، ودرر العقود، ومجمع الفوائد، وإيقاظ الحنفاء، وغيرها، بحيث زادت مؤلفاته علىٰ مائتي مجلد، توفي سنة ٨٤٥. انتهىٰ.









بعض أئمة الشافعية الذين كانوا على خلاف عقيدة السلف الصالح ثم رجعوا إليها في آخر أمرهم:



الأول: إمام المتكلمين العلامة أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسىٰ بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسىٰ عبد الله بن قيس الأشعري أبو الحسن البصري، المتوفىٰ سنة ٣٢٤هـ.

الأوصاف التي وصفه بها المترجمون له:

قال عنه الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ١٥٤): المتكلم، صاحب التصانيف في الكلام والأصول والملل والنحل. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٢): العلامة إمام المتكلمين. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ١٥٧): وله كتاب «الإبانة»، عامته في عقود أهل السنة، وهو مشهور، وكتاب «جمل المقالات»، وكتاب «اللمع»، وكتاب «الموجز»، وكتاب «فرق الإسلاميين واختلاف المصلين». ومن نظر في هذه الكتب عرف محله.

ومن أراد أن يتبحر في معرفة الأشعري فليطالع كتاب «تبيين كذب المفتري»، تأليف أبي القاسم بن عساكر. اللهم توفنا علىٰ السنَّة وأدخلنا الجنَّة،





واجعل أنفسنا بك مطمئنَّة، نحب فيك أولياءك ونبغض فيك أعداءك، ونستغفر للعصاة من عبادك، ونعمل بمحكم كتابك ونؤمن بمتشابهه. ونصفك بما وصفت به نفسك، ونصدق بما جاء به رسولك، إنك سميع الدعاء، آمين. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٤): وجمع أبو القاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضًا غير صحيح. انتهىٰ.

كعادة السبكي لم يرق له كلام شيخه الذهبي الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام في ترجمته للأشعري، فكتب كلامًا سيسأله الله عنه، أنقله دون تعليق، قال في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٣): وأنا قد قلت غيرَ مرة: إن الذهبي أستاذي وبه تخرجت في علم الحديث، إلا أن الحق أحق أن يتَّبَع، ويجب عليَّ تبيين الحق فأقول: أما حوالتك علىٰ تبيين كذب المفتري وتقصيرك في مدح الشيخ، فكيف يسعك ذلك مع كونك لم تترجم مجسمًا يشبِّه الله بخلقه إلا واستوفيت ترجمته، حتىٰ إن كتابك مشتمل علىٰ ذكر جماعة من أصاغر المتأخرين من الحنابلة الذين لا يؤبه إليهم، قد ترجمت كل واحد منهم بأوراق عديدة، فهل عجزت أن تعطي ترجمة هذا الشيخ حقها؟ وتترجمه كما ترجمت من هو دونه بألف ألف طبقة؟! فأي غرض وهوىٰ نفس أبلغ من هذا؟! وأقسم بالله يمينًا برة ما بك إلا أنك لا تحب شياع اسمه بالخير، ولا تقدر في بلاد المسلمين علىٰ أن تفصح فيه بما عندك من أمره، وما تضمره من الغض منه؛ فإنك لو أظهرت ذلك لتناولتك سيوف الله، وأما دعاؤك بما دعوت به، فهل هذا مكانه يا مسكين؟! وأما إشارتك بقولك: ونبغض أعداءك إلىٰ أن الشيخ من







أعداء الله وأنك تبغضه، فسوف تقف معه بين يدي الله تعالىٰ يوم يأتي وبين يديه طوائف العلماء من المذاهب الأربعة، والصالحين من الصوفية، والجهابذة الحفاظ من المحدثين، وتأتي أنت تتكسع في ظلم التجسيم الذي تدعي أنك بريء منه، وأنت من أعظم الدعاة إليه، وتزعم أنك تعرف هذا الفن وأنت لا تفهم فيه نقيرًا ولا قطميرًا، وليت شعري من الذي يصف الله بما وصف به نفسه، من شبهه بخلقه؟ أم من قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والأولىٰ بي علىٰ الخصوص إمساك عنان الكلام في هذا المقام فقد أبلغت، ثم أحفظ لشيخنا حقه وأمسك، وقد عرفناك أن الأوراق لا تنهض بترجمة الشيخ وأحلناك علىٰ كتاب التبيين لا كإحالة الذهبي؛ إذ نحن نحيل إحالة طالب محرض علىٰ الازدياد من عظمته وذاك يحيل إحالة مجهل قد سئم وتبرم بذكر محامد من لا يحبه، وبئس ما قال وافترىٰ. انتهىٰ.

وقال عنه **الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**طبقات الشافعيين**» (١/ ٢٠٨): أحد أئمة المتكلمين، صاحب التصانيف في الأصول والملل والنحل؛ كالموجز، ومقالات الإسلاميين، والإبانة، والتفسير الكبير، وغير ذلك من الكتب النفيسة، قال أبو محمد بن حزم: ومصنفات أبي الحسن الأشعري خمسة وخمسون مصنفًا. انتهىٰ.

وأما عبد الوهاب السبكي المحترق في التمشعر، شديد الوقيعة في أهل السنَّة؛ فترجم له في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ٣٤٧): شيخنا وقدوتنا إلىٰ الله تعالىٰ الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة






والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعيًا يبقىٰ أثره إلىٰ يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

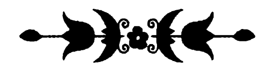
إمام حبر، وتقيٌّ بر، حمىٰ جناب الشرع من الحديث المفترىٰ، وقام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا.

(بهمة في الثريا إثر أخمصها   وعزمة ليس من عاداتها السأم)

وما برح يدلج ويسير، وينهض بساعد التشمير، حتىٰ نقىٰ الصدور من الشُّبَه كما يُنَقىٰ الثوب الأبيض من الدنس، ووقىٰ بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، وقال فلم يترك مقالًا لقائل، وأزاح الأباطيل، والحق يدفع ترهات الباطل. انتهىٰ.

السبكي إذا قال: (أهل السنة) فلا يعني بهم إلا الأشاعرة.

وسُنَّة سيد المرسلين لا تُنصَر إلا بالتمسُّك بها وفهمها كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وأما نصرها بعلم الكلام كما يريد السبكي فهو هدم لها، ومعاداة لأهلها، ونصر لأعدائها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].







المراحل الثلاث التي مر بها أبو الحسن الأشعري

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٢١٠): ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال، التي رجع عنها لا محالة.

الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية: كالوجه، واليدين، والقدم، والساق، ونحو ذلك.

الحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه، جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في «الإبانة» التي صنفها آخرًا، وشرحها القاضي الباقلاني، ونقلها أبو القاسم ابن عساكر، وهي التي مال إليها الباقلاني، وإمام الحرمين، وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم، والله أعلم. انتهى.



وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ١٥٤): وكان معتزليًّا، ثم تاب من الاعتزال، وصعد يوم الجمعة كرسيًّا بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب معتقد الرد على المعتزلة، مبين لفضائحهم.






قال الأهوازي: سمعت أبا عبد الله الجمراني يقول: لم نشعر يوم الجمعة وإذا بالأشعري قد طلع علىٰ منبر الجامع بالبصرة بعد الصلاة ومعه شريط، فشده إلىٰ وسطه ثم قطعه وقال: اشهدوا عليَّ أني كنت علىٰ غير دين الإسلام، وإني أسلمت الساعة، وإني تائب من الاعتزال. ثم نزل.

قال أبو عمرو الزجاجي: سمعت أبا سهل الصعلوكي يقول: حضرنا مع الأشعري مجلس علوي بالبصرة، فناظر أبو الحسن المعتزلة، وكانوا كثيرًا، حتىٰ أتىٰ علىٰ الكل فهزمهم، كل ما انقطع واحد أخذ الآخر حتىٰ انقطعوا؛ فعدنا في المجلس الثاني، فما عاد أحد، فقال بين يدي العلوي: يا غلام اكتب علىٰ الباب: فروا.

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن يزيد الحلبي: سمعت أبا بكر بن الصيرفي يقول: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتىٰ أظهر الله الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم. انتهىٰ.

وقال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ٣٤٧): يقال: أقام علىٰ الاعتزال أربعين سنة حتىٰ صار للمعتزلة إمامًا، فلما أراده الله لنصر دينه وشرح صدره لاتباع الحق؛ غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا، ثم خرج إلىٰ الجامع وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء علىٰ شيء، فاستهديت الله تعالىٰ فهداني إلىٰ اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا. وانخلع من ثوب كان عليه ورمىٰ به، ودفع الكتب التي ألفها علىٰ مذاهب أهل السنة إلىٰ الناس. انتهىٰ.






وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٢): رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت. ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٣): رأيت للأشعري كلمة أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقي؛ سمعت أبا حازم العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد عليَّ أني لا أكفِّر أحدًا من أهل القبلة؛ لأن الكل يشيرون إلىٰ معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات.

قلت: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفِّر أحدًا من الأمَّة، ويقول: قال النبي ﷺ: «**لا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن**»، فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم. انتهىٰ.





مناظرته الشهيرة مع شيخه أبي علي الجبائي

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٤): وله المناظرة المشهورة مع الجبائي في قولهم: يجب علىٰ الله أن يفعل الأصلح، فقال الأشعري: بل يفعل ما يشاء، فما تقول في ثلاثة صغار: مات أحدهم وكبر اثنان، فآمن أحدهم، وكفر الآخر، فما العلة في اخترام الطفل؟ قال: لأنه تعالىٰ علم أنه لو بلغ لكفر، فكان اخترامه أصلح له.

قال الأشعري: فقد أحيا أحدهما فكفر. قال: إنما أحياه ليعرضه أعلىٰ المراتب.

قال الأشعري: فلم لا أحيا الطفل ليعرضه لأعلىٰ المراتب؟

قال الجبائي: وسوست. قال: لا والله، ولكن وقف حمار الشيخ. انتهىٰ.

ولما رجع أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة ألَّف كتبًا عظيمة نافعة، قرر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، منها:

كتاب «رسالة إلىٰ أهل الثغر»، وكتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، وكتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، وهو أشهرها، وقد صرح فيه أنه علىٰ عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



وقد قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٩٥): قيل:




إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلىٰ أبي محمد البربهاري، فجعل يقول: رددت علىٰ الجبائي، رددت علىٰ المجوس، وعلىٰ النصارىٰ.

فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد. فخرج وصنف «الإبانة». انتهىٰ.










كتاب الإبانة

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة» ص (٢٠- ٢٤): فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي ندين بها:

التمسُّك بكتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم، وعلىٰ جميع أئمة المسلمين.



وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله إله واحد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله استوىٰ علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].






وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأن له يدين كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالًّا.

وأن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ﴾ [فاطر: ١١].

ونثبت لله قوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾ [فصلت: ١٥].



ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج، ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له: كن فيكون، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وأنه لا يكون في الأرض شيءٌ من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله، ولا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله، وأنه لا خالق إلا الله، وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له كما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وهم يُخلَقون، كما قال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وكما قال: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]، وكما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ﴾ [النحل: ١٧]، وكما قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ






ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].

وهذا في كتاب الله كثير، وأن الله وَفَّق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر لهم وأصلحهم وهداهم، وأَضَلَّ الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم كانوا صالحين، ولو هداهم كانوا مهتدين، كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتىٰ يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم، وطبع علىٰ قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره.

وأَنَّا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره وحلوه ومره، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأَنَّا لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله.

وإنا نلجئ أمورنا إلىٰ الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه، ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن كان كافرًا.

وندين أن الله يُرىٰ بالأبصار يوم القيامة كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ، ونقول: إن الكافرين إذا رآه المؤمنون عنه محجوبون، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

وإن موسىٰ سأل الله الرؤية في الدنيا، وإن الله تجلىٰ للجبل فجعله دكًّا، وأعلم بذلك موسىٰ أنه لا يراه في الدنيا.







ونرىٰ أن لا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرق وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون. ونقول: إن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلًّا لها؛ كان كافرًا إذا كان غير معتقد تحريمها.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل الإسلام بإيمان.

وندين بأنه يقلِّب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه، وندين بأن لا ننزل أحدًا من الموحدين المستمسكين بالإيمان جنة ولا نارًا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، ونقول: إن الله يخرج من النار قومًا بعد ما امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ، ونؤمن بعذاب القبر، ونقول: إن الحوض والميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله يوقف العباد بالموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم للروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلًا عن عدل حتىٰ تنتهي الرواية إلىٰ رسول الله ﷺ، وندين بحب السلف الذين اختارهم لصحبة نبيه، ونثني عليهم بما أثنىٰ الله عليهم، ونتولاهم، ونقول: إن الإمام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه، وأن الله تعالىٰ أعز به الدين، وأظهره علىٰ المرتدين، وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان نضر الله وجهه، قتله قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ، ونتولىٰ سائر أصحاب النبي ﷺ، ونكف







عما شجر بينهم، وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم، ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلىٰ السماء الدنيا، وأن الرب يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافًا لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول علىٰ الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله تعالىٰ يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأن الله تعالىٰ يقرب من عباده كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩].

ومن ديننا أن نصلِّي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات خلف كل برٍّ وفاجر، كما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحَجَّاج.

وأن المسح علىٰ الخفين في الحضر والسفر خلافًا لمن أنكر ذلك، ونرىٰ الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأىٰ الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة.

ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ، ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهم المدفونين في قبورهم، ونصدِّق بحديث المعراج، ونصحِّح كثيرًا من الرؤيا في المنام، ونقول: إن لذلك تفسيرًا. ونرىٰ



الصدقة عن موتىٰ المؤمنين، والدعاء لهم، ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك، ونصدق بأن في الدنيا سحرًا، وأن السحر كائن موجود في الدنيا، وندين بالصلاة علىٰ من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم، ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل، وأن الأرزاق من قبل الله عَزَّوَجَلَّ يرزقها عباده حلالًا وحرامًا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه خلافًا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ - ٦].

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات ويظهرها عليهم، وقولنا في أطفال المشركين: أن الله عَزَّوَجَلَّ يؤجج لهم نارًا في الآخرة ثم يقول: «**اقتحموها**»، كما جاءت الرواية بذلك. وندين بأن الله تعالىٰ يعلم ما العباد عاملون، وإلىٰ ما هم صائرون، وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين، ونرىٰ مفارقة كل داعية لبدعة ومجانبة أهل الأهواء، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه وما لم نذكره بابًا بابًا وشيئًا شيئًا. انتهىٰ.

أقول: كتاب «الإبانة» يقر بنسبته إلىٰ أبي الحسن الأشعري كبار الأشاعرة؛ كابن عساكر، فقد ذكره مرارًا في كتابه «تبيين كذب المفتري»، بل ساق كلامه السابق في بيان مسائل الاعتقاد كاملًا (ص ١٥٧- ١٦٣)، ثم قال: فتأملوا - رحمكم الله - هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العالِم





الذي شَرَحه وبيَّنَه، وانظروا سهولة لفظه فما أفصحه وأحسنه، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨].

وتبينوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه؛ لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين. انتهىٰ.

وذكر كتاب «الإبانة» ونسبه للأشعري السبكي المتعصب في طبقاته في ترجمة الأشعري، وغيرهم كثير جدًّا، وهذا الكتاب وأمثاله حجة علىٰ الأشاعرة إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنهم يدعون أنهم علىٰ عقيدته، وهم في الحقيقة علىٰ خلافها، والله المستعان.

الثاني: الإمام أبو المعالي الجويني، المتوفىٰ سنة ٤٧٨هـ.

قال الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٤٢٤): عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، إمام الحرمين أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني، الفقيه الملقب ضياء الدين، رئيس الشافعية بنيسابور.

قال أبو سعد السمعاني: كان إمام الأئمة علىٰ الإطلاق، المجمع علىٰ إمامته شرقًا وغربًا، لم تر العيون مثله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٤٢٥): قال السمعاني: قرأت بخط أبي جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني: سمعت أبا إسحاق الفيروزآبادي يقول: تمتعوا بهذا الإمام، فإنه نزهة هذا الزمان، يعني أبا المعالي الجويني.

قال: وقرأت بخط أبي جعفر أيضًا: سمعت أبا المعالي يقول: قرأت






خمسين ألفًا في خمسين ألفًا، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم العظيم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام منها؛ كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن رجعت من الكل إلىٰ كلمة الحق؛ عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برِّه فأموت علىٰ دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل علىٰ برهة أهل الحق، وكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله؛ فالويل لابن الجويني - يريد نفسه -.

وكان أبو المعالي مع تبحره في الفقه وأصوله لا يدري الحديث، ذكر في كتاب «البرهان» حديث معاذ في القياس، فقال: هو مدون في الصحاح، متفق علىٰ صحته. كذا قال، وأنىٰ له الصحة؟! ومداره علىٰ الحارث بن عمرو، مجهول، عن رجال من أهل حمص لا يدري من هم، عن معاذ.

وقال المازري في «شرح البرهان» في قوله: إن الله تعالىٰ يعلم الكليات لا الجزئيات: وددت لو محوتها بدمي.

قلت: هذه لفظة ملعونة. قال ابن دحية: هي كلمة مكذبة للكتاب والسنة، مكفر بها، هَجَره عليها جماعة، وحلف القشيري لا يكلمه أبدًا، ونُفي بسببها مدة، فجاور وتاب.

قال السمعاني: وسمعت أبا روح الفرج بن أبي بكر الأرموي مذاكرةً يقول: سمعت أستاذي غانم الموشيلي يقول: سمعت الإمام أبا المعالي الجويني يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.

وقال أبو المعالي الجويني في كتاب «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك







العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها؛ فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأيًا، وندين الله به عقدًا: اتباع سلف الأمَّة؛ فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمَّة حُجَّة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب الرسول ﷺ على ترك التعريض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل؛ كان ذلك قاطعًا بأنه الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب؛ فليجر آية الاستواء والمجيء، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره؛ على ما ذكرنا.

وقال **محمد بن طاهر الحافظ**: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور، وكان يسمع معنا الحديث، وكان يختلف إلى درس الأستاذ أبي المعالي الجويني، يقرأ عليه الكلام، يقول: سمعت الأستاذ أبا المعالي اليوم







يقول: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلىٰ ما بلغ ما اشتغلت به.

وحكىٰ أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي فقيه أصبهان، قال: حكىٰ لنا أبو الفتح الطبري الفقيه، قال: دخلتُ علىٰ أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا عليَّ أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف، وأني أموت علىٰ ما تموت عليه عجائز نيسابور.

وذكر محمد بن طاهر أن المحدث أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس وعظ أبي المعالي، فقال: كان الله ولا عرش، وهو الآن علىٰ ما كان عليه.

فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا الله؛ إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا نلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ أو قال: فهل عندك من دواء لدفع هذه الضرورة التي نجدها؟ فقال: يا حبيبي، ما ثم إلا الحيرة. ولطم علىٰ رأسه ونزل، وبقي وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيرني الهمذاني.



وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٤٢٨): وقد أخبرنا يحيىٰ بن أبي منصور الفقيه وغيره في كتابهم عن الحافظ عبد القادر الرهاوي: أن الحافظ أبا العلاء الهمذاني أخبره قال: أخبرني أبو جعفر الهمذاني الحافظ قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه






قصد، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق؛ فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت. وبكيت، وبكىٰ الخلق، فضرب بكمه علىٰ السرير، وصاح بالحيرة. وخرق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: بيا حبيبي، الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة! فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني.

وقد توفي أبو المعالي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلىٰ مقبرة الحسين، فدفن إلىٰ جانب والده، وكسر منبره في الجامع، وأغلقت الأسواق، ورثوه بقصائد. وكان له نحو من أربعمائة تلميذ، فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا علىٰ ذلك حولًا. وهذا من فعل الجاهلية والأعاجم، لا من فعل أهل السنَّة والاتباع.

وترجم له في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٦٨) بقوله: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف.

وقال (١٨/ ٤٦٩): وفي (فنون) ابن عقيل: قال عميد الملك: قدم أبو المعالي، فكلم أبا القاسم بن برهان في العباد، هل لهم أفعال؟

فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]. ومد بها صوته، وكرر ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾، وقوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ




لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٤٢]. أي: كانوا مستطيعين.

فأخذ أبو المعالي يستروح إلىٰ التأويل، فقال: والله إنك بارد تتأول صريح كلام الله لتصحح بتأويلك كلام الأشعري، وأكله ابن برهان بالحجة، فبهت. انتهىٰ.

وبعد ما سبق إيضاحه، وشرحه واتضاحه، من رجوع الإمام الجويني عن الكلام وويلاته، وتحذيره منه ومن آفاته، وخوفه الشديد من مغبته وآثاره، وإقراره بأن عقائد عجائز نيسابور أقوم منه قيلًا وأهدىٰ سبيلًا، إلا أننا وجدنا عبد الوهاب السبكي في «طبقات الشافعية» في ترجمة أبي المعالي قد بالغ في إطرائه بما يمجه أهل الاعتدال والإنصاف، ولم يبق إلا رتبة الصحبة والنبوة، وبالغ في ردِّ كلام شيخه الحافظ مؤرخ الإسلام الذي نقله بالأسانيد من ندمه علىٰ خوضه في لُجَج علم الكلام المهلكة، وتكلف وتعسَّف في رد نقد الإمام المازري لزلته العظيمة حين قال: إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات، وأظهر حمية لأشعريته جاهلية؛ فبدع وجدع، ولعن وشنع، وصدق من قال: من فسدت عقيدته ساءت أخلاقه، وظن أنه يحجب شمس الحق ببالي غرباله، ويكدر ماء البحر بما في دلوه من أزباله، وهيهات.

وسأورد كلام السبكي فقرة فقرة، ثم أعقب عليه بما يفتح الله به؛ لئلا يغتر به مغرور، ويكون به صاحب الحق فرحًا ومسرورًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو حسبنا ونعم الوكيل.

فأقول وعلىٰ الله أتوكل وبه أصول وأجول:

أولًا: قال السبكي في طبقاته (٥/ ١٨٢): وأما شيخنا الذهبي - غفر الله له -






فإنه حار كيف يصنع في ترجمة هذا الإمام، الذي هو من محاسن هذه الأمَّة المحمدية، وكيف يمزقها، فقرطم ما أمكنه، ثم قال: وقد ذكره عبد الغافر فأسهب وأطنب. إلىٰ أن قال: وكان يذكر دروسًا، وساق نحو ثلاثة أسطر من أخريات كلام عبد الغافر، ثم كأنه سئم وملَّ لأن مثله مثل محمول علىٰ تقريظ عدو له، فقال بعد أن انتهىٰ من ذكر السطور الثلاثة التي حكاها ما نصه، وذكر الترجمة بطولها. انتهىٰ.

فيقال له: هلا زينت كتابك بها وطرزته بمحاسنها، فإنه أولىٰ من خرافات تحكيها لأقوام لا يعبأ الله بهم. انتهىٰ.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن شيخه مؤرخ الإسلام ما قرطم ولا تلعثم، بل أجاد حق الإجادة، ووفاه حقه وزيادة، ومن رجع إلىٰ «تاريخ الإسلام»، «وسير أعلام النبلاء» نال بغيته ومراده، وقد نقلت سابقًا طرفًا كافيًا من ذلك يكفي عما هنالك.

ثانيها: قوله: هلا زينت كتابك بها وطرزته بمحاسنها، فإنه أولىٰ من خرافات تحكيها لأقوام لا يعبأ الله بهم.

فأقول: قد زان كتابه بترجمته ونقله ما يفرح به أهل السنة والإيمان، من ذمه للكلام، وندمه علىٰ ما ضاع من عمره في تلك الشعاب المهلكة والوديان.

ومن هم الذين حكىٰ شيخه الذهبي مؤرخ الإسلام خرافاتهم ممن جزم السبكي بأن الله لا يعبأ بهم؟!

إنهم أئمة السنة والحديث، الذين أثبتوا لله ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ من الاستواء علىٰ العرش، والكلام، والنزول، والغضب والرضوان،






وأنه يُرىٰ بالأبصار رؤيةً حقيقية وهو فوق عباده في دار السلام، مع إثبات سائر صفاته الذاتية والفعلية علىٰ الوجه الذي يليق بذي الإجلال والإكرام إثباتًا بلا تكييف أو تمثيل، وتنزيهًا لربنا سبحانه دون تحريف أو تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وسيسأل الله السبكي عما قاله، وعند الله تجتمع الخصوم.

ثانيًا: قال في طبقاته (٥/ ١٨٤): وقد حكىٰ شيخنا الذهبي كسر المنبر والأقلام والمحابر، وأنهم أقاموا علىٰ ذلك حولًا، ثم قال: وهذا من فعل الجاهلية والأعاجم لا من فعل أهل السنة والاتباع.

قلت: وقد حار هذا الرجل ما الذي يؤذي به هذا الإمام، وهذا لم يفعله الإمام، ولا أوصىٰ به أن يفعل، حتىٰ يكون غضًّا منه، وإنما حكاه الحاكون إظهارًا لعظمة الإمام عند أهل عصره، وأنه حصل لأهل العلم علىٰ كثرتهم فقد كانوا نحو أربعمائة تلميذ ما لم يتمالكوا معه الصبر، بل أداهم إلىٰ هذا الفعل، ولا يخفىٰ أنه لو لم تكن المصيبة عندهم بالغة أقصىٰ الغايات لما وقعوا في ذلك، وفي هذا أوضح دلالة لمن وفَقَّه الله علىٰ حال هذا الإمام رضي الله عنه، وكيف كان شأنه فيما بين أهل العلم في ذلك العصر المشحون بالعلماء والزهاد. انتهىٰ.

فأقول وبالله التوفيق: أولًا: جعل السبكي إنكار ذلك المنكر الذي هو من فعل أهل الجاهلية والأعاجم مما قصده به مؤرخ الإسلام أذية لذلك الإمام، وهذا أشبه ما يكون بالهذيان؛ فالحافظ الذهبي أنكر فعل الطلاب، ولم يتعرض لشيخهم والأستاذ؛ فالسبكي لا يخفي حنقه علىٰ شيخه الذهبي بسبب نقده للبدع والمنكرات.





ثانيًا: قوله: إنما حكاه الحاكون... إلخ.

فما هكذا تورد يا سعد الإبل، ومتىٰ كانت البدع وأمور الجاهلية مما يعظم به أهل العلم؟!

هل فعل الصحابة رضي الله عنهم مثل هذا عند موت خليل الرحمن وسيد ولد عدنان الذي ختم الله به الأنبياء وأنزل عليه الفرقان؟!

وهل فعلوه لما مات الخلفاء الراشدون؟!

وهل فعله التابعون لما مات عمر بن عبد العزيز، أو سعيد بن المسيب أو الحسن البصري أو ابن المبارك أو الزهري أو الأوزاعي؟!

وهل فعله تلاميذ مالك أو أحمد أو الشافعي عند موتهم، وهم أجل قدرًا وأعلىٰ منزلة وذكرًا؟!

فلماذا يحمر أنف السبكي وتنتفخ أوداجه في الدفاع عن المبطلين ويلبس المحدثات لباس السنة والدين؟!

ثم قال السبكي (ص ١٨٥): وعن إمام الحرمين: ما تكلمت في علم الكلام كلمة حتىٰ حفظت من كلام القاضي أبي بكر وحده اثني عشر ألف ورقة، سمعت الشيخ الإمام يحكي ذلك.

قلت: انظر هذا الأمر العظيم وهذه المجلدات الكثيرة التي حفظها من كلام شخص واحد في علم واحد، فبقي كلام غيره والعلوم الأخر التي له فيها اليد الباسطة والتصانيف المستكثرة فقهًا وأصولًا وغيرهما. انتهىٰ.



أقول وبالله التوفيق: لا بركة فيما حفظه من علم الكلام، ولو حفظ مكانها أحاديث رسول الله وكلام علماء الإسلام في التوحيد والفقه لكان خيرًا له.





وقد عاد الجويني في آخر أيامه بالذم علىٰ تلك المحفوظات الكلامية، وأقر بضررها وعدم نفعها، وصرح بأن عقائد العجائز خير منها.

ثم نقل السبكي ما ثبت عن أبي المعالي من رجوعه عن علم الكلام إلىٰ عقائد عجائز نيسابور، وخوفه الشديد من عاقبة خوضه في لجج مهالك علم الكلام المتلاطمة، ثم تكلف وتعسَّف وبالغ وأسرف في تأويل كلام الجويني بما يخالف ظاهره، فقال (ص ١٨٥- ١٨٦): وذكر ابن السمعاني أبو سعد في الذيل أنه قرأ بخط أبي جعفر محمد بن أبي علي بن محمد الهمذاني الحافظ: سمعت أبا المعالي الجويني يقول: لقد قرأت خمسين ألفًا في خمسين ألفًا، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام عنها؛ كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت عن الكل إلىٰ كلمة الحق؛ عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحقُّ بلطف برِّه فأموت علىٰ دين العجائز، وتختم عاقبة أمري عند الرحيل علىٰ برهة أهل الحق، وكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله؛ فالويل لابن الجويني - يريد نفسه -.

قلت: ظاهر هذه الحكاية عند من لا تحقيق عنده البشاعة، وأنه خلىٰ الإسلام وأهله، وليس هذا معناها، بل مراده أنه أنزل المذاهب كلها في منزلة النظر والاعتبار غير متعصب لواحد منها، بحيث لا يكون عنده ميل يقوده إلىٰ مذهب معين من غير برهان، ثم توضح له الحق وأنه الإسلام، فكان علىٰ هذه الملة عن اجتهاد وبصيرة، لا عن تقليد، ولا يخفىٰ أن هذا مقام عظيم لا يتهيأ إلا لمثل هذا الإمام وليس يسمح به لكل أحد؛ فإن غائلته تخشىٰ إلا علىٰ من برز






في العلوم وبلغ في صحة الذهن مبلغ هذا الرجل العظيم، فأرشد إلىٰ أن الذي ينبغي عدم الخوض في هذا واستعمال دين العجائز.

ثم أشار إلىٰ أنه مع بلوغه هذا المبلغ، وأخذه الحق عن الاجتهاد والبصيرة لا يأمن مكر الله، بل يعتقد أن الحق إن لم يدركه بلطفه ويختم له بكلمة الإخلاص؛ فالويل له، ولا ينفعه إذ ذاك علومه وإن كانت مثل مداد البحر.

فانظر هذه الحكاية ما أحسنها وأدلها علىٰ عظمة هذا الإمام، وتسليمه لربه تعالىٰ وتفويضه الأمر إليه، وعدم اتكاله علىٰ علومه، ثم تعجب بعدها من جاهل يفهم منها غير المراد، ثم يخبط خبط عشواء. انتهىٰ.

أقول وبالله التوفيق: الجاهل المعاند، والحائر المكابر من فهم منها خلاف ظاهرها، وتكلَّف في تأويلها وتعسَّف في تطويلها، وخالف منطوقها ومفهومها، فكيف يكون معنىٰ كلامه: أنه أنزل المذاهب منزلة النظر، مع أنه يقول:

ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام عنها... التقليد، والآن قد رجعت عن الكل إلىٰ كلمة الحق؟!

ثم قال: عليكم بدين العجائز.

ثم قال: فإن لم يدركني الحقُّ بلطف برِّه فأموت علىٰ دين العجائز، وتختم عاقبة أمري عند الرحيل علىٰ نزهة أهل الحق، وكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله؛ فالويل لابن الجويني - يريد نفسه -.

فتأمل أخي القارئ الكريم ما سبق، وسل الله العافية مما ابتلي به السبكي من التعصب المقيت، وتحريف الكلم عن مواضعه، والمحاماة عن علم الكلام






الذي تقيأه أصحابه قبل موتهم.

ويستمر السبكي في المجازفة والمكابرة فيقول (ص ١٨٦- ١٨٧): وذكر ابن السمعاني أيضًا أنه سمع أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان، ذكر عن محمد بن طاهر المقدسي الحافظ قال: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور - وكان ممن يختلف إلىٰ درس إمام الحرمين - أنه قال: سمعت أبا المعالي يقول: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

قلت أنا: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة، وابن طاهر عنده تحامل علىٰ إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه رجل مجهول، ثم هذا الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه غير رجل مجهول، ولا تعرف من غير طريق ابن طاهر؛ إن هذا لعجيب، وأغلب ظني أنها كذبة افتعلها من لا يستحي، وما الذي بلغ به - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - علم الكلام؟ أليس قد أعز الله به الحق وأظهر به السنَّة وأمات به البدعة؟

ثم نقول لهذا الذي لا يفهم: إن كان علم الكلام بلغ به الحق؛ فلا يندم علىٰ الاشتغال به، وإن بلغ به الباطل فإن لم يعرف أنه علىٰ الباطل وظن أنه علىٰ الحق؛ فكذلك لا يندم، وإن عرف أنه علىٰ باطل فمعرفته بأنه علىٰ باطل موجبة لرجوعه عنه، فليس ثَم ما ينتقد. انتهىٰ.

فأقول وبالله التوفيق:

قوله: وابن طاهر عنده تحامل علىٰ إمام الحرمين؛ فهذه دعوىٰ لم يبرهن عليها، ولو كان عنده شيء لبادر بإظهاره.







وقوله: والقيرواني المشار إليه رجل مجهول، فأقول: ليس بمجهولٍ؛ فقد قال فيه شيخك مؤرخ الإسلام في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٠): إمام النحو، أبو الحسن، علي بن فضال بن علي بن غالب، المجاشعي، القيرواني، التميمي، الفرزدقي، المفسر، طوف الدنيا، واتصل بنظام الملك، وصنف «الإكسير في التفسير» في خمسة وثلاثين مجلدًا، ومؤلفًا في النحو في عدة مجلدات، و«البرهان» في التفسير في عشرين مجلدًا. انتهىٰ.

وقال عنه الحافظ السيوطي في «طبقات المفسرين» (١/ ٨٢): كان إمامًا في اللغة، والنحو، والأدب، والتفسير، والسير، ولد بهجر، وطوف الأرض، وأقرأ ببغداد مدة.

وله من التصانيف: «برهان العميدي» في التفسير، عشرون مجلدًا، «الإكسير في علم التفسير» خمسة وثلاثون مجلدًا، «إكسير الذهب في صناعة الأدب»، «النكت في القرآن»، «معاني الحروف»، «شرح عنوان الإعراب»، وغير ذلك.

مات في ثاني عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

ومن شعره:

وإخوان حسبتهم دروعًا ... فكانوها ولكن للأعادي

وخلتهم سهامًا صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادي

انتهىٰ.

وقول السبكي: وما الذي بلغ به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علم الكلام؟ أليس قد أعز الله به الحق







وأظهر به السنة وأمات به البدعة؟

أقول وبالله التوفيق: ما أعز الله الإسلام ولا أهله بعلم الكلام، ولا ظهرت به سنة ولا انقمعت به بدعة، بل ظهرت بسببه البدع العظام والمنكرات والآثام، وحسبك به ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما صح عنه: ما ارتدىٰ أحد بالكلام فأفلح.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يبتلىٰ العبد بكل ما نهىٰ الله عنه ما خلا الشرك خيرٌ له من أن يبتلىٰ بعلم الكلام.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويحملوا علىٰ الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ علم الكلام.

وها هو الجويني ينهىٰ أصحابه عنه، ويقر بأن دين العجائز خير منه، وصدق من قال:

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام علته ... حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وكما قال الآخر:

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرًّا به العذب الزلالا



ثم أقول: لا فخر ولا منقبة في وصف الجويني بالتبحر في علم الكلام، فقد قال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (١/ ٣٣٣): غاية ما تمدحون به أبا الحسن أن تثبتوا أنه متكلم، وتدلونا علىٰ أنه بالمعرفة برسوم الجدل متوسم، ولا فخر في ذلك عند العلماء من ذوي التسنن والاتباع؛ لأنهم يرون أن من



تشاغل بذلك من أهل الابتداع، فقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين، وذم أهل الكلام، ولو لم يذمهم غير الشافعي لكفىٰ؛ فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح حالهم وشفىٰ، وأنتم تنتسبون إلىٰ مذاهبه، فهلا اقتديتم في ذلك به.

ثم روىٰ ابن عساكر بإسناده عن الفريابي: حدثني بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف يقول: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس. انتهىٰ.

ثم قال السبكي: قد قدمنا لك من تحامل الذهبي عليه في تمزيقه كلام عبد الغافر، وإنكاره ما فعل تلامذة الإمام عند موته، وأنت إذا عرفت حال الذهبي لم تحتج إلىٰ دليل يدل علىٰ أنه قد تحامل عليه. انتهىٰ.

أقول: لم يتحامل عليه مؤرخ الإسلام، وأصاب في إنكاره علىٰ تلاميذه، فكان ماذا؟

ولكن الأمر كما قيل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

ثم قال السبكي:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

أقول: صدقت ومن لي بأن تعلم؟

ثم قال السبكي عن شيخه مؤرخ الإسلام (ص ١٨٨): ومن قبيح كلامه قال: وقال المازري في «شرح البرهان» في قوله: «إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات»:






وددت لو محوتها بدمي.

قلت: هذه لفظة ملعونة. قال ابن دحية: هي كلمة مكذبة للكتاب والسنَّة يكفر بها، هَجَره عليها جماعة، وحلف القشيري لا يكلمه بسببها مدة، فجاور وتاب. انتهىٰ.

ما أقبحه فصلًا مشتملًا علىٰ الكذب الصراح وقلة الحق، مستحلًّا علىٰ قائله بالجهل بالعلم والعلماء، وقد كان الذهبي لا يدري شرح البرهان ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلبة الحنابلة فيعتقدها حقًّا ويودعها تصانيفه.

فأقول وبالله التوفيق:

أولًا: يكفي أن يقال في جرأة السبكي علىٰ شيخه مؤرخ الإسلام وإساءة أدبه معه: من ساءت عقيدته ساءت أخلاقه.

ثانيًا: قوله: ما أقبحه فصلًا مشتملًا علىٰ الكذب الصراح وقلة الحق.

فليس الكلام كذبًا، فقد قاله أبو المعالي، وقد أقر السبكي نفسه بذلك في نهاية مناقشته للكلام، وليس هناك شيء قبيح إلا المنقول عن أبي المعالي، ويليه في القبح تطاول السبكي علىٰ الإمامين الجليلين الذهبي والمازري، ودفاعه بالباطل عن أبي المعالي.

ثم قال السبكي (ص ١٨٩): وابن دحية لا تقبل روايته، فإنه متهم بالوضع علىٰ رسول الله ﷺ، فما ظنك بالوضع علىٰ غيره. انتهىٰ.

فأقول: أين الوضع هنا؟!

فابن دحية إنما استنكر مقولة الجويني الكفرية الباطلة، وأنها مكذبة للكتاب






والسنَّة، وهذا حقٌّ لو قاله يهودي أو نصراني لقبلناه منه، فكيف بمسلم؟!

ثم قال السبكي (ص ١٩٠): ومن كلامه أيضًا (يعني شيخه الحافظ الذهبي): أخبرنا يحيىٰ بن أبي منصور الفقيه وغيره من كتابهم عن الحافظ عبد القادر الرهاوي، عن أبي العلاء الحافظ الهمذاني، أخبره قال: أخبرني أبو جعفر الهمذاني الحافظ، قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام.

فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عند الضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة؟ قلت: ما قال عارف قط: يا رباه؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوقية، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فبيِّنها نتخلص من الفوق والتحت. وبكيت وبكىٰ الخلق، فضرب بيده علىٰ السرير وصاح بالحيرة، وخرق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، فنزل ولا يجبني إلا بتأفيف الدهشة والحيرة، وسمعت بعد هذا أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني. انتهىٰ.

قلت: قد تكلف لهذه الحكاية وأسندها بإجازة علىٰ إجازة، مع ما في إسنادها ممن لا يخفىٰ محاطة علىٰ الأشعري، وعدم معرفته بعلم الكلام.

ثم أقول: يا لله ويا للمسلمين! أيقال عن الإمام: إنه يتخبط عند سؤال سأله إياه هذا المحدث، وهو أستاذ المناظرين وعلم المتكلمين؟!

فأقول: أولًا: لو كان في إسناد الحكاية مطعن لما ادخر السبكي وسعًا في ردها به، ولاستراح من الطعن واللعن الذي سيأتي ذكره.







ثانيًا: قوله رافعًا عقيرته: يا لله ويا للمسلمين! أيقال عن الإمام: إنه يتخبط... إلخ.

أقول: وما المانع أن يتخبط من كان علىٰ باطل وضلال بإقراره علىٰ نفسه؟! فمن كان مستنده علم الكلام؛ فهو جدير بالتخبط والحيرة والاضطراب عند سماع ما لا قبل له بدفعه، ولا طاقة له برفعه، من برهان الفطرة الموافق للشريعة.

ثالثًا: السبكي الذي يرفع عقيرته هنا ويستعظم التخبط والتلجلج علىٰ إمام الحرمين؛ قد حكىٰ عنه هو أنه تلجلج فيما هو دون هذا بمراحل، فقال (ص ١٦٨): يحكىٰ أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام، ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصة.

قيل: وما نبأ هذه المصة؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع، فبكيت، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا، فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكًا لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك، وقلبني وفوعني حتىٰ لم يدع في باطني شيئًا إلا أخرجه، وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار. انتهىٰ.



أقول: كان يسع السبكي هنا أن يقول أيضًا: إن أبا المعالي تلجلج واضطرب من آثار تلك المصة، وكان هذا الجواب مع ما فيه من تكلف وتعسف ومكابرة أحسن حالًا مما قاله هنا.

ثم قال السبكي - وبئس ما قال -: أوكان الإمام عاجزًا عن أن يقول له: كذبت يا ملعون؛ فإن العارف لا يحدث نفسه بفوقية الجسمية، ولا يحدد ذلك إلا جاهل يعتقد الجهة، بل نقول: لا يقول عارف: يا رباه؛ إلا وقد غابت عنه






الجهات، ولو كانت جهة فوق مطلوبة لما منع المصلي من النظر إليها وشدد عليه في الوعيد عليها. انتهىٰ.

فأقول: أولًا: قوله: أوكان عاجزًا أن يقول: كذبت يا ملعون.

هكذا يلعن السبكي أهل الحق من المسلمين، وسيأتي لهذا نظائر من كلامه، وهذا ليس بغريب علىٰ أهل الأهواء المبتدعين العاجزين عن دفع حجج أهل الحق، ويكفي أن نتذكر هنا أن اللعن بغير حق مردود علىٰ قائله، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلىٰ السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلىٰ الذي لعن، فإن كان لذلك أهلًا، وإلا رجعت إلىٰ قائلها**». أخرجه أبو داود وغيره، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيًا: وأما قوله: فإن العارف لا يحدث نفسه بفوقية الجسمية... إلخ.

فهذا هو العارف للبدع المتضلع من علم الكلام، وأما العارف بنصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، وإجماع الأئمة؛ فإنه يشهد بأن الله عالٍ بذاته علىٰ خلقه، مستوٍ علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله.

وأما قوله: فوقية الجسمية؛ فأهل السنة يقولون: إن لفظ الجسم لم يرد إثباته في حق الله في الكتاب ولا في السنة، ولا نفيه؛ فهم يتوقفون في لفظه ويستفصلون في معناه، فإن كان المراد: فوقية الله بذاته علىٰ جميع مخلوقاته؛ فهذا حق، وقد أجمع عليه السلف، وخالفهم أهل البدع والضلال الذين أشربت قلوبهم علم الكلام، فقالوا: إن الله بذاته في كل مكان حلولًا أو اتحادًا عياذًا بالله.







وقوله: ولو كانت جهة فوق مطلوبة لما منع المصلي من النظر إليها وشدد في الوعيد عليها.

فأقول وبالله التوفيق: أولًا: لا أعلم أحدًا سبق السبكي إلىٰ الاستدلال بحديث النهي عن النظر إلىٰ السماء علىٰ نفي علو الله.

ثانيًا: الحديث لا يدل علىٰ نفي العلو بحال، ونقول للسبكي وأمثاله: إذا لم يكن الله في العلو فأين يكون؟

ثالثًا: ما المراد بلفظ الجهة؟

فهو مما لم يرد إثباته في الكتاب والسنة ولا نفيه؛ فوجب التوقف في لفظه، وأما المراد به فإن كان جهة مخلوقة تحيط بالله؛ فهذا باطل ومردود، وإن كان المراد جهة عدمية بمعنىٰ أن الله له العلو المطلق علىٰ خلقه؛ فهذا حق، فكان ماذا؟

رابعًا: قد دل علىٰ علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه الكتابُ والسنَّة بدلالاتها الثلاث والإجماع والعقل والفطرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٢١): قد وصف الله تعالىٰ نفسَه في كتابه وعلىٰ لسان رسوله «بالعلو والاستواء علىٰ العرش والفوقية» في كتابه في آيات كثيرة، حتىٰ قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: في القرآن «ألف دليل» أو أزيد تدل علىٰ أن الله تعالىٰ عالٍ علىٰ الخلق وأنه فوق عباده. وقال غيره: فيه «ثلاثمائة» دليل تدل علىٰ ذلك. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٢٩٧): فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سمواته، مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما دل علىٰ





ذلك الكتاب والسنَّة وإجماع سلف الأمَّة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله علىٰ ذلك خلقه؛ من إقرارهم به وقصدهم إياه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٦٤): إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة، وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة؛ مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالىٰ علىٰ عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأصناف من العبارات: تارة يخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش، وقد ذكر الاستواء علىٰ العرش في سبعة مواضع.

وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١، ٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١، ٢].

وتارة يخبر «بأنه العلي الأعلىٰ» كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وتارة يخبر بأنه في «السماء» كقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ




ﱡﭐﭐٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﱠ [الملك: ١٦]، ﱡﭐأَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﱠ [الملك: ١٧].

فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها، كما ذكر في قوله تعالىٰ: ﱡﭐوَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﱠ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﱡﭐوَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﱠ [الأنعام: ٣].

وكذلك قال النبي ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟**»، وقال للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». انتهىٰ.

وقال تلميذه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» ص (٥٩): حتىٰ قيل: إن الآيات والأخبار الدالة علىٰ علو الرب علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه تقارب الألوف، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم. انتهىٰ.

ثم قال السبكي (ص١٩١): ثم أقول: إن كان الإمام متحيرًا لا يدري ما يعتقد، فَوَاهًا علىٰ أئمة المسلمين من سنة ثمان وسبعين وأربعمائة إلىٰ اليوم؛ فإن الأرض لم تخرج من لدن عهده أعرف منه بالله، ولا أعرف منه، فيالله ماذا يكون حال الذهبي وأمثاله إذا كان مثل الإمام متحيرًا؟! إن هذا لخزي عظيم.

ثم ليت شعري من أبو جعفر الهمذاني في أئمة النظر والكلام، ومن هو من ذوي التحقيق من علماء المسلمين. انتهىٰ.

أقول: كان الهمداني أعرف بالله في هذا الباب من الجويني والسبكي، بل عجائز نيسابور أعرف بالله من الجويني بشهادته علىٰ نفسه، فضلًا عن علماء الإسلام الذين عافاهم الله مما ابتلىٰ به الجويني في زمنه وبعده، ولكن عين






الهوىٰ عوراء بل عمياء.

ثم قال (ص ١٩١- ١٩٢): ثم أقول: للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات: هل تُمَر علىٰ ظاهرها مع اعتقاد التنزيه أو تؤوَّل؟

والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزو إلىٰ السلف، وهو اختيار الإمام في «الرسالة النظامية» وفي مواضع من كلامه، فرجوعه معناه الرجوع عن التأويل إلىٰ التفويض، ولا إنكار في هذا ولا في مقابله؛ فإنها مسألة اجتهادية، أعني مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد التنزيه. انتهىٰ.

فأقول وبالله التوفيق: قوله: إن القول بإمرار نصوص الصفات مع اعتقاد التنزيه هو المعزو للسلف: إن كان المراد إثبات صفات الله الذاتية والفعلية حقيقةً، وإمرارها كما جاءت دون تعرض لتحريفها الذي يسمونه تأويلًا، مع تنزيه الله عن مماثلة المخلوقين، وتفويض علم كيفيتها إلىٰ الله؛ فهذا هو الحَقُّ الذي لا يجوز غيره، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة، وعليه أئمة السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وإن كان المراد إمرارها علىٰ ظاهرها، وتفويض العلم بمعناها، وقراءة ألفاظها مع اعتقاد أننا لا نفهم معناها، بمنزلة من يقرأ كلامًا أعجميًّا لا يدري ما معناه، وهذا هو مراد السبكي كما يبيِّنه سياق كلامه، وما سيأتي قريبًا؛ فنسبة هذا الاعتقاد إلىٰ السلف منكر من القول وزور، والسلف برآء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وهذا شرُّ أقوال أهل البدع، ولا ينسبه للسلف إلا من يجهل عقيدتهم أو يناهضها ويعاديها.

ثانيًا: قوله: فإنها مسألة اجتهادية، أعني مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد






التنزيه.

أقول: بل هما مسألتان يضلل بهما المخالف بعد البيان؛ فالتعطيل الذي يسمونه تأويلًا، والتفويض؛ من أقبح أقوال أهل البدع والانتقاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولم يكن أبو الحسن الأشعري وكبار أصحابه يؤولون الصفات الخبرية، بل يثبتونها، وأول من اشتهر عنه تأويلها الجويني، ثم رجع عن تأويلها وقال بتحريم ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١٧):

والأشعري وأئمة أصحابه - كـ: أبي الحسن الطبري، وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي، والقاضي أبي بكر - متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن؛ كالاستواء والوجه واليد، وإبطال تأويلها، وليس له في ذلك قولان أصلًا، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلًا، بل جميعُ مَن يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله، ولكن لأتباعه في ذلك قولان.

وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالي الجويني؛ فإنه نفى الصفات الخبرية، وله في تأويلها قولان، ففي الإرشاد أَوَّلَهَا، ثم إنه في (الرسالة النظامية) رجع عن ذلك، وحَرَّم التأويل، وبَيَّن إجماع السلف على تحريم التأويل.

واستدل بإجماعهم على أن التأويل محرم، ليس بواجب ولا جائز، فصار من سلك طريقته ينفي الصفات الخبرية، ولهم في التأويل قولان، وأما الأشعري






وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها، يردون على من ينفيها أو يقف فيها، فضلًا عمن يتأولها.

ثم قال السبكي (ص ١٩٢) عقب الكلام السابق: إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء: الإمرار على الظاهر، والاعتقاد أنه المراد، وأنه لا يستحيل على الباري؛ فذلك قول المجسمة عباد الوثن الذين في قلوبهم زيغ، يحملهم الزيغ على اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة، عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى، ما أجرأهم على الكذب وأقل فهمهم للحقائق. انتهى.

أقول وبالله التوفيق والسداد: إجراء نصوص الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتمثيل هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٧٤-٥٧٥): وأما ما ذكروه من آيات الصفات وأحاديثها: فمذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين وسائر الأئمة المتبوعين الإقرار والإمرار.

قال أبو سليمان الخطابي وأبو بكر الخطيب: مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها. وقالا في ذلك: إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات ذاته إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ فكذلك إثبات صفاته إثبات وجود لا إثبات كيفية، فلا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا إن معنى السمع: العلم؛ هذا كلامهما.

وقال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ فقل له:







كيف هو في نفسه؟ فإن قال: نحن لا نعلم كيفية ذاته. فقل: ونحن لا نعلم كيفية صفاته، وكيف نعلم كيفية صفة ولا نعلم كيفية موصوفها؟! ومن فهم من صفات الله تعالىٰ ما هو مستلزم للحدوث مجانس لصفات المخلوقين، ثم أراد أن ينفي ذلك عن الله، فقد شبه وعطل؛ بل الواجب ألا يُوصَف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث.

وأن نعلم مع ذلك أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء، لا في نفسه ولا في أوصافه ولا في أفعاله، وأن الخلق لا تطيق عقولهم كنه معرفته، ولا تقدر ألسنتهم علىٰ بلوغ صفته، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣٣/ ١٧٥- ١٧٧)**:... وأما حلفه: أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] علىٰ ما يفيده الظاهر ويفهمه الناس من ظاهره: فلفظة «الظاهر» قد صارت مشتركة؛ فإن الظاهر في الفِطَر السليمة واللسان العربي والدين القيم ولسان السلف غيرُ الظاهر في عرف كثير من المتأخرين. فإن أراد الحالف بالظاهر شيئًا من المعاني التي هي من خصائص المحدثين أو ما يقتضي نوع نقص: بأن يتوهم أن الاستواء مثل استواء الأجسام علىٰ الأجسام، أو كاستواء الأرواح إن كانت لا تدخل عنده في اسم الأجسام؛ فقد حنث في ذلك وكذب، وما أعلم أحدًا يقول ذلك، إلا ما يروىٰ عن مثل داود الجواربي البصري ومقاتل بن سليمان الخراساني وهشام بن الحكم الرافضي، ونحوهم، إن صح النقل عنهم؛ فإنه يجب القطع بأن الله ليس كمثله شيء، لا في




نفسه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإن مباينته للمخلوقين وتنزهه عن مشاركتهم أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته ويصفه الواصفون. وإن كل صفة تستلزم حدوثًا أو نقصًا غير الحدوث فيجب نفيها عنه.

ومن حكىٰ عن أحد من أهل السنة أنه قاس صفاته بصفات خلقه: فهو إما كاذب، أو مخطئ.

وإن أراد الحالف بالظاهر ما هو الظاهر في فِطَر المسلمين قبل ظهور الأهواء وتشتت الآراء، وهو الظاهر الذي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أن هذا هو الظاهر في سائر ما يطلق عليه سبحانه من أسمائه وصفاته؛ كالحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، والإرادة والمحبة، والغضب والرضا، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، و«**ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة**»، إلىٰ غير ذلك؛ فإن ظاهر هذه الألفاظ إذا أطلقت علينا أن تكون أعراضًا أو أجسامًا؛ لأن ذواتنا كذلك، وليس ظاهرها إذا أطلقت علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا ما يليق بجلاله ويناسب نفسه الكريمة.

فكما أن لفظ «ذات» و«وجود» و«حقيقة» تطلق علىٰ الله وعلىٰ عباده، وهو علىٰ ظاهره في الإطلاقين، مع القطع بأنه ليس ظاهره في حق الله مساويًا لظاهره في حقنا، ولا مشاركًا له فيما يوجب نقصًا أو حدوثًا، سواء جعلت هذه الألفاظ متواطئة أو مشتركة أو مشككة؛ كذلك قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

الباب في الجميع واحد. وكان قدماء «الجهمية» ينكرون جميع الصفات لله







التي هي فينا أعراض: كالعلم والقدرة، أو أجسام: كاليد والوجه. وحدثاؤهم أقروا بكثير من الصفات التي هي فينا أعراض: كالعلم والقدرة، وأنكروا بعضها والصفات التي هي فينا أجسام. وفيهم من أقر ببعض الصفات التي هي فينا أجسام كاليد.

«**وأما السلفية**» **فعلىٰ ما حكاه الخطابي وأبو بكر الخطيب وغيرهما قالوا:** مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات علىٰ ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها؛ فلا نقول: إن معنىٰ اليد: القدرة، ولا إن معنىٰ السمع: العلم.

وذلك أن الكلام في الصفات فرع علىٰ الكلام في الذات، يحتذىٰ فيه حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية. فقد أخبرك الخطابي والخطيب - وهما إمامان من أصحاب الشافعي متفق علىٰ علمهما بالنقل، وعلم الخطابي بالمعاني - أن مذهب السلف إجراؤها علىٰ ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها. والله يعلم أني قد بالغت في البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحدًا منهم خالف ذلك. ومن قال من المتأخرين: إن مذهب السلف أن الظاهر غير مراد؛ فيجب لمن أحسن به الظن أن يعرف أن معنىٰ قوله: «الظاهر»: الذي يليق بالمخلوق لا بالخالق. ولا شك أن هذا غير مراد، ومن قال: إنه مراد؛ فهو بعد قيام الحُجَّة عليه كافر.

فهنا «**بحثان**»: لفظي ومعنوي. أما المعنوي: فالأقسام ثلاثة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ونحوه أن يقال: استواء كاستواء مخلوق، أو يفسَّر






باستواء مستلزم حدوثًا أو نقصًا؛ فهذا الذي يحكىٰ عن الضُّلَّال المشبهة والمجسمة، وهو باطل قطعًا بالقرآن وبالعقل. وإما أن يقال: ما ثَم استواءٌ حقيقي أصلًا، ولا علىٰ العرش إله، ولا فوق السموات رب؛ فهذا مذهب الضالة الجهمية المعطلة، وهو باطل قطعًا بما علم بالاضطرار من دين الإسلام لمن أمعن النظر في العلوم النبوية، وبما فطر الله عليه خليقته من الإقرار بأنه فوق خلقه كإقرارهم بأنه ربهم.

قال ابن قتيبة: ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء، أي علىٰ السماء.

أو يقال: بل استوىٰ سبحانه علىٰ العرش علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله ويناسب كبرياءه، وأنه فوق سمواته علىٰ عرشه بائن من خلقه، مع أنه سبحانه هو حامل للعرش ولحملة العرش، وأن الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، كما قالته أم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس؛ فهذا مذهب المسلمين.

وهو الظاهر من لفظ «استوىٰ» عند عامة المسلمين الباقين علىٰ الفطر السليمة التي لم تنحرف إلىٰ تعطيل ولا إلىٰ تمثيل.

هذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق علىٰ إمامته وجلالته وفضله، وهو من أتباع التابعين حيث قال: من زعم أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] خلاف ما يقر في نفوس العامة؛ فهو جهمي، فإن الذي أقره الله في فطر عباده وجبلهم عليه: أن ربهم فوق سمواته. انتهىٰ.

وبعد ما سبق إيضاحه وبيانه من هو الأحق بقول السبكي: الذين في قلوبهم






زيغ، يحملهم الزيغ علىٰ اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة، عليهم لعائن الله تترىٰ واحدة بعد أخرىٰ، ما أجرأهم علىٰ الكذب وأقل فهمهم للحقائق؟

وأختم هنا بكلام عظيم للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول ثمرة الاعتصام بظواهر نصوص الكتاب والسنَّة، والاهتداء بما فيها من هدىٰ الله لعباده، وكيف كان حال من أعرض عن ذلك من الحيرة والشك، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة» (٢/ ٦٦٩): اعتراف هؤلاء الفضلاء في آخر سيرهم بما أفادتهم الأدلة العقلية من ضد اليقين، ومن الحيرة والشك، فمن الذي شكا من القرآن والسنة والأدلة اللفظية هذه الشكاية؟! ومن الذي ذكر أنها حيرته ولم تهده، أو ليس بها هدىٰ الله أنبياءه ورسله وخير خلقه؟! قال تعالىٰ لأكمل خلقه وأوفرهم عقلًا: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ [سبأ: ٥٠].

فهذا أكمل الخلق عقلًا يخبر أن اهتداءه بالأدلة اللفظية التي أوحاها الله إليه، وهؤلاء المتهوكون المتحيرون يقولون: إنها لا تفيد يقينًا ولا علمًا ولا هدًىٰ، وهذا موضع المثل المشهور: «رمتني بدائها وانسلت». انتهىٰ.

الثالث: أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد الطوسي، المتوفىٰ سنة ٥٠٥هـ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعيين» (١/ ٥٣٣): محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ويلقب بزين الدين وبحجة الإسلام، أحدُ أئمة الشافعية في التصنيف والترتيب والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير. انتهىٰ.





وقال **الحافظ الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«تاريخ الإسلام»** (٣٥/ ١٢٣): قال أبو عمرو بن الصلاح: فصل لبيان أشياء مهمة أنكرت علىٰ الغزالي في مصنفاته، ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم من الشذوذ في تصرفاته، منها قوله في المنطق: هو مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بعلومه أصلًا، وهذا مردود؛ فكل صحيح الذهن منطقي بالطبع، وكيف غفل الشيخ أبو حامد عن حال مشايخه من الأئمة، وما رفعوا بالمنطق رأسًا. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«تاريخ الإسلام»** (٣٥/ ١٢٤): وقال أبو بكر الطرطوشي: شحن الغزالي كتابه «الإحياء» بالكذب علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فلا أعلم كتابًا علىٰ بسطة الأرض أكثر كذبًا علىٰ رسول الله منه.

ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفاء، وهم قوم يرون النبوة اكتسابًا. فليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل، تخلق بمحاسن الأخلاق، وجانب سفاسفها، وساس نفسه، حتىٰ ملك قيادها؛ فلا تغلبه شهواته، ولا يقهره سوء أخلاقه، ثم ساس الخلق بتلك الأخلاق. وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«تاريخ الإسلام»** (٣٥/ ١٢٨): قلت: للغزالي غلط كثير، وتناقض في تواليفه، ودخول في الفلسفة، وشكوك.

ومن تأمل كتبَه العقلية رأىٰ العجائب. وكان مزجي البضاعة من الآثار، علىٰ سعة علومه، وجلالة قدره، وعظمته. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«سير أعلام النبلاء»** (١٩/ ٣٢٧): قال أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع. انتهىٰ.







وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٨): قلت: قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتابَ (التهافت)، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنًّا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية علىٰ العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا)، وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين؛ لتلف؛ فالحذار الحذار من هذه الكتب! واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلىٰ مولاه في الثبات علىٰ الإسلام وأن يتوفىٰ علىٰ إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالِم يغفر له وينجو إن شاء الله. انتهىٰ.

وقال في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٩): قلت: أما (الإحياء) ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير، لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علمًا نافعًا، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولًا وفعلًا، ولم يأت نهي عنه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من رغب عن سنتي فليس مني».

فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في (الصحيحين) و(سنن النسائي)، و(رياض النواوي) وأذكاره؛ تفلح وتنجح، وإياك وآراء عُبَّاد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات؛ فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلىٰ صراطك المستقيم. انتهىٰ.






وقال **الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**طبقات الشافعيين**» (١/ ٥٣٦): ولما كان الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أوغل في علوم كثيرة، وصنف في كثير منها واشتهرت، فصار من نظر في شيء منها يعتقد أنه كان يقول بذلك، وإنما قاله والله أعلم آثرًا لا معتقدًا، وقد رجع عن ذلك كله في آخر عمره إلىٰ حديث الرسول ﷺ والاشتغال بصحيح البخاري، حتىٰ يقال: إنه مات وهو علىٰ صدره. وقد كثر القيل والقال في بعض مصنفاته والاستدراك عليه في الفروع وذلك سهل، والأصول وهو أشده، واشتد إنكار جماعة من علماء المغرب لبعضها، حتىٰ إنهم أحرقوا كثيرًا منها ببلادهم، وتكلموا علىٰ ما اعتمده في «إحياء علوم الدين» من إيراد أحاديث كثيرة منكرة، ولا شك في عذر من أنكر المنكر، وتكلم علىٰ هذا الكتاب القاضي أبو بكر بن العربي، وأبو عبد الله محمد بن علي المازري، وأبو بكر محمد بن الوليد الطرطوسي وغيرهم، وأفردوا في ذلك ردودًا ومؤاخذات، كل بحسب ما رأىٰ، وقد ذكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في ترجمته في الطبقات طرفًا من ذلك، وعقد في ذلك فصلًا، وأنكر هو عليه إدخالَه مقدمة المنطق في أول المستصفىٰ، وخلطه المنطق بأصول الفقه، قال: وذلك بدعة عظيمة شؤمها علىٰ المتفقهة، حتىٰ كثر فيهم بعد ذلك المتفلسفة، والله المستعان.

وأنكر قوله في المقدمة: هذه مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلًا، قال: وقد سمعت الشيخ العماد بن يونس يحكي عن يوسف الدمشقي بمدرسة نظامية بغداد، وكان من النظار المعروفين: أنه كان ينكر هذا الكلام، ويقول: فأبو بكر وعمر وفلان وفلان - يعدد أولئك السادة -






عظمت حظوظهم من البلج واليقين، ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأشباهها. انتهىٰ.

قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨): قال أبو حامد الغزالي: أكثر الناس شكًّا عند الموت أهل الكلام. انتهىٰ.

وقال كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٧٢): وهذا أبو حامد الغزالي مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف؛ ينتهي في هذه المسائل إلىٰ الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره علىٰ طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلىٰ طريقة أهل الحديث وصَنَّف «إلجام العوام عن علم الكلام». انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاستقامة» (١/ ٨٠): وقد قال أبو حامد الغزالي في الكتاب الذي سماه «إحياء علوم الدين»، وهو من أجَلِّ كتبه، قال: فإن قلت: تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم؟ أو هو مباح كتعلم الطب؟ أو مندوب إليه؟ فاعلم أن للناس في هذا غلوًّا وإسرافًا في أطراف:

فمن قائل: إنه بدعة وحرام، وإن العبد أن يلقىٰ الله بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب وفرض إما علىٰ الكفاية وإما علىٰ الأعيان، وإنه أفضل الأعمال وأعلىٰ القربات؛ فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله.

قال: وإلىٰ التحريم ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري، وجميع أئمة السلف. وساق ألفاظًا عن هؤلاء.

قال: واتفق أهل الحديث من السلف علىٰ هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من





التشديدات فيه، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**الفتاوىٰ الكبرىٰ**» (٣/ ٤٩٣): ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه الذي سماه «فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية»، قال: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض. انتهىٰ.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/ ١٩٠): وقال أبو حامد الغزالي: الصواب للخلف سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل والتصديق المجمل، وما قاله الله ورسوله، بلا بحث وتفتيش.

وقال في **كتاب التفرقة**: الحق الاتباع والكف عن تغيير الظاهر رأسًا، والحذر عن اتباع تأويلات لم يصرح بها الصحابة، وحسم باب السؤال رأسًا، والزجر عن الخوض في الكلام والبحث. إلىٰ أن قال: ومن الناس من يبادر إلىٰ التأويل ظنًّا لا قطعًا، فإن كان فتح هذا الباب والتصريح به يؤدي إلىٰ تشويش قلوب العوام؛ بُدِّع صاحبه، وكل ما لم يؤثر عن السلف ذكرُه وما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة؛ فيجب تكفير من يغيِّر الظواهر بغير برهان قاطع.

وقال **أيضًا**: كل ما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر نقله، ولم يتصور أن يقوم علىٰ خلافه برهان؛ فمخالفته تكذيب محض، وما تطرق إليه احتمال تأويل ولو بمجاز بعيد؛ فإن كان برهانه قاطعًا وجب القول به، وإن كان البرهان يفيد ظنًّا غالبًا ولا يعظم ضرره في الدين؛ فهو بدعة، وإن عظم ضرره في الدين فهو كفر.

قال: ولم تجر عادة السلف بهذه المجادلات، بل شددوا القول علىٰ من




يخوض في الكلام، ويشتغل بالبحث والسؤال.

وقال أيضًا: الإيمان المستفاد من الكلام ضعيف، والإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع، وبعد البلوغ بقرائن يتعذر التعبير عنها.

قال: وقال شيخنا أبو المعالي: يحرص الإمام ما أمكنه علىٰ جمع عامة الخلق علىٰ سلوك سبيل السلف في ذلك. انتهىٰ.

الرابع: العلامة فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الطبرستاني المعروف بابن خطيب الري، المتوفىٰ سنة ٦٠٦هـ.

ترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٢) بقوله: العلامة الكبير ذو الفنون، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين.



اشتغل علىٰ أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقًا وغربًا، وكان يتوقد ذكاءً، وقد سقت ترجمته علىٰ الوجه في «تاريخ الإسلام».

وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه؛ فإنه توفي علىٰ طريقة حميدة، والله يتولىٰ السرائر.

مات بهراة، يوم عيد الفطر، سنة ست وست مائة، وله بضع وستون سنة، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ



ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. انتهىٰ.

وقال في «تاريخ الإسلام» (١٣/ ١٣٧- ١٤٥): قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي، وأبو شامة: اعتنىٰ الفخر الرازي بكتب ابن سيناء وشرحها.

وكان يعظ وينال من الكرامية، وينالون منه سبًّا وتكفيرًا، وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السم فمات، وكانوا يرمونه بالكبائر.

ولا كلام في فضله، وإنما الشناعات قائمة عليه بأشياء؛ منها أنه قال: قال محمد التازي وقال محمد الرازي، يعني النبي ﷺ ونفسه، والتازي: هو العربي.

ومنها: أنه كان يقرر مسائل الخصوم وشبههم بأتم عبارة، فإذا جاء بالأجوبة قنع بالإشارة. ولعله قصد الإيجاز، ولكن أين الحقيقة من المجاز.

قال: ومن شعره:



نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وحاصل دنيانا أذًىٰ ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال

... ومن كلام فخر الدين قال:

رأيت الأصلح والأصوب طريقة القرآن، وهو ترك التعمق والاستدلالات بأقسام أجسام السموات والأرضين علىٰ وجود الرب، ثم ترك التعمق، ثم





المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل، فأقرأ في التنزيه قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، وأقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي تنزيهه عما لا ينبغي: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وعلىٰ هذا القانون فقس.

وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجلُّ؛ فهو لك، وكل ما فيه عيب ونقص؛ فأنت منزه عنه.

وأقول: إن عقلي وفهمي قاصر عن الوصول إلىٰ كنه صفة ذرة من مخلوقاتك.

قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح: حدثني القطب الطوغاني مرتين، أنه سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بالكلام. وبكىٰ.

وقيل: إن الفخر الرازي وعظ مرةً عند السلطان شهاب الدين، فقال: يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقىٰ، ولا تلبيس الرازي يبقىٰ، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣]. فأبكىٰ السلطان.

ومن كلام فخر الدين: إن كنت ترحم فقيرًا فأنا ذاك، وإن كنت ترىٰ معيوبًا فأنا ذاك المعيوب، وإن كنت تخلص غريقًا فأنا الغريق في بحر الذنوب، وإن كنت أنت أنت فأنا أنا، ليس غير النقص والحرمان والذل والهوان.



وصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أوصىٰ بهذه الوصية لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني: يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلىٰ مولاه كل آبق: أحمد الله تعالىٰ بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها؛ لأنه لا مناسبة للتراب مع ربِّ الأرباب. وصلاته علىٰ الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

ثم اعلموا إخواني في الدين وأخلائي في طلب اليقين: أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وتعلقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين:

الأول: أنه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له عند الله أثر.

الثاني: ما يتعلق بالأولاد، وأداء الجنايات.

أما الأول: فاعلموا أنني كنت رجلًا محبًّا للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئًا لأقف علىٰ كميته وكيفيته، سواء كان حقًّا أو باطلًا، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعىٰ في تسليم العظمة والجلالة لله،







ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشىٰ في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية.

فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء في القدم، والأزلية، والتدبير، والفعالية؛ فذلك هو الذي أقول به، وألقىٰ الله به.

وأما ما انتهىٰ الأمر فيه إلىٰ الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنىٰ الواحد؛ فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إني أرىٰ الخلق مطبقين علىٰ أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين؛ فلك ما مد به قلمي، أو خطر ببالي فاستَشهِد.

وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق؛ فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق؛ فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي؛ فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة؛ فأغثني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «**أنا عند ظن عبدي بي**»، وأنت قلت: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]؛ فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم؛ فلا تخيِّب رجائي،






ولا ترد دعائي، واجعلني آمنًا من عذابك قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهِّل عليَّ سكرات الموت؛ فإنك أرحم الراحمين.

وأما الكتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات؛ فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه، علىٰ سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل علىٰ الله.

الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال، والاعتماد فيه علىٰ الله.

ثم إنه سرد وصيته في ذلك إلىٰ أن قال: وأمرت تلامذتي، ومن لي عليه حق إذا أنا مت يبالغون في إخفاء موتي، ويدفنوني علىٰ شرط الشرع، فإذا دفنوني قرءوا عليَّ ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: يا كريم، جاءك الفقير المحتاج، فأحسن إليه.

سمعت وصيته كلها من الكمال عمر بن إلياس بن يونس المراغي، قال: أخبرنا التقي يوسف بن أبي بكر النسائي بمصر، قال: أخبرنا الكمال محمود بن عمر الرازي، قال: سمعت الإمام فخر الدين يوصي تلميذه إبراهيم بن أبي بكر، فذكرها.

قلت: توفي يوم عيد الفطر بهراة. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ المنطقيين» (١/ ٣٢١): قال أبو عبد الله الرازي في آخر عمره في كتابه «أقسام اللذات»: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]،






﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. انتهىٰ.

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه «النبوات» ص (٣٠٥): أن كتاب الرازي (أقسام اللذات) هو آخر مصنفاته.

وترجم له الحافظ ابن كثير في «طبقات الشافعيين» (١/ ٧٧٨)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (٨/ ٨١)، وغيرهما.

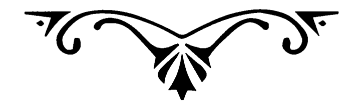
قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «إرشاد الفحول» (ص ١٧٧): وهؤلاء الثلاثة - أعني الجويني والغزالي والرازي - هم الذين وسعوا دائرة التأويل، وطولوا ذيوله، وقد رجعوا آخرًا إلىٰ مذهب السلف كما عرف، فلله الحمد كما هو له أهل. انتهىٰ.









الرد على من يقول: إنه شافعي في الفقه وأشعري في العقيدة، أو أنه شافعي في الفروع أشعري في الأصول، وربما نسب بعضهم تلك العقيدة إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أولًا: إن كان يعني أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان كذلك؛ فهذا باطل، فالأشعري جاء بعد الشافعي، فقد توفي الشافعي سنة ٢٠٤هـ، بينما توفي أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤هـ، أي أن الفرق بين وفاتيهما ١٢٠ سنة.

ثانيًا: يكاد أن يجمع المترجمون لأبي الحسن الأشعري أنه كان من أئمة الكلام، بينما أجمع المترجمون للإمام الشافعي أنه كان من أئمة أهل السنة والجماعة، وأنه كان من أشد الناس ذمًّا للكلام وأهله، فهو القائل: «ما ارتدىٰ أحد بالكلام فأفلح».

وهو القائل: «لأن يبتلىٰ العبد بكل ما نهىٰ الله عنه خلا الشرك خير له من الكلام، ولقد اطلعت من أصحاب الكلام علىٰ شيء ما ظننت مسلمًا يقول ذلك».

وهو القائل: «حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد ويحملوا علىٰ الإبل، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام».



ثالثًا: أن الإمام الشافعي كان يسير علىٰ طريقة من سلفه من الصحابة




والتابعين لهم بإحسان في أبواب المعتقد، عملًا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فيثبت لله سائر الصفات الذاتية والفعلية، ولم يثبت عنه حرف واحد بخلاف ذلك، وهكذا في أبواب القدر، والإيمان، وغير ذلك، وعلىٰ هذا سار تلاميذه وتلاميذهم وكثير من أئمة مذهبه، بخلاف ما عليه الأشاعرة في أبواب الصفات، والقدر، والإيمان، وغيرها.

رابعًا: أنه قد انتسب إلىٰ الإمام الشافعي من خالف عقيدته، وكذلك بقية الأئمة الأربعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٦١): ومن يتكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة؛ فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل. وكثير من هؤلاء ينسب إلىٰ أئمة المسلمين ما لم يقولوه؛ فينسبون إلىٰ الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة من الاعتقادات ما لم يقولوا. ويقولون لمن اتبعهم: هذا اعتقاد الإمام الفلاني؛ فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٨٥): ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء، فقد انتسب إلىٰ مالك أناس مالك بريء منهم، وانتسب إلىٰ الشافعي أناس هو بريء منهم، وانتسب إلىٰ أبي حنيفة أناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلىٰ موسىٰ عليه السلام أناس هو منهم بريء، وانتسب إلىٰ عيسىٰ عليه السلام أناس هو منهم بريء، وقد انتسب إلىٰ علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم، ونبينا قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملاحدة والمنافقين من هو بريء منهم. انتهىٰ.





وقال في «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٦١): وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، لا سيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الأصولية، وخلط هذا بهذا؛ فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئًا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك، ويضيفه إلىٰ مذهب مالك والشافعي وأحمد. وكذلك الحنفي يخلط بمذاهب أبي حنيفة شيئًا من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية، ويضيفه إلىٰ مذهب أبي حنيفة. انتهىٰ.

خامسًا: أن من خالف الشافعي في عقيدته وأخذ بعقيدة الأشاعرة المبنية علىٰ العقل والكلام؛ فإما أن يكون الإمام الشافعي ضالًّا عنده لأنه لا يعتقد تلك العقيدة، أو أنه ضالٌّ عند الإمام الشافعي الذي كان يذم الكلام وأهله أشد الذم.

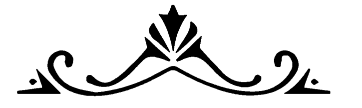
ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٠):

ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم يطعن في كثير ممن ينتسب إليه، يقولون: الشافعي لم يكن فيلسوفًا ولا مرجئًا، وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة، وغرضهم ذم الإرجاء. انتهىٰ.







أقوال بعض علماء الشافعية
في الرد على من ينتسب للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفروع ويخالفه في الأصول



لقد انتدب جماعة من كبار علماء الشافعية للرد علىٰ من ينتسب للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفروع دون الأصول، ومنهم:

١- الإمام أبو المظفر السمعاني المتوفىٰ سنة ٤٨٩هـ:



فقد قال في كتابه «الانتصار لأهل الحديث» (ص ٩- ١٠) بعد أن ذكر جملًا من كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنة وذم الكلام: فهذا كلام الشافعي في ذم الكلام والحث علىٰ السنة، وهو الإمام الذي لا يجارىٰ والفحل الذي لا يقاوم، فلو جاز الرجوع إليه وطلب الدين من طريقه؛ لكان بالترغيب فيه أولىٰ من الزجر عنه، وبالندب إليه أولىٰ من النهي عنه؛ فلا ينبغي لأحد أن ينصر مذهبه في الفروع ثم يرغب عن طريقته في الأصول. انتهىٰ.

٢- الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي المتوفىٰ سنة ٥٣٢هـ:

فله كتاب عظيم نافع في الاعتقاد - مفقود - بعنوان (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٧٥- ١٧٦): ومن ذلك: ما ذكره شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك




الكرجي في كتابه الذي سماه «الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول» - وكان من أئمة الشافعية - ذكر فيه من كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل، والبخاري - صاحب الصحيح - وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم.

وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه علىٰ مراتبهم ومكانتهم في الإسلام، وذكر أنه اقتصر في النقل عنهم - دون غيرهم - لأنهم هم المقتدىٰ بهم والمرجوع شرقًا وغربًا إلىٰ مذاهبهم، ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم، وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها: من جودة الحفظ والبصيرة والفطنة والمعرفة بالكتاب والسنة والإجماع والسند والرجال والأحوال، ولغات العرب ومواضعها، والتاريخ، والناسخ والمنسوخ، والمنقول والمعقول، والصحيح والمدخول في الصدق والصلابة وظهور الأمانة والديانة ممن سواهم.

قال: وإن قصر واحد منهم في سبب منها؛ جبر تقصيرَه قربُ عصره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، باينوا هؤلاء بهذا المعنىٰ من سواهم. انتهىٰ.

ثم بيَّن الإمام الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجهًا آخر لسبب اقتصاره في باب الاعتقاد علىٰ ذكر الأئمة الأربعة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٧٦- ١٧٧): قال: ووجه ثالث لا بد من أن نبين فيه فنقول: إن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة علىٰ كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة؛ فإن أحدهما لا محالة يضلِّل صاحبه أو يبدعه أو يكفره، فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر والله شرعًا وطبعًا، فمن قال: أنا






شافعي الشرع أشعري الاعتقاد؛ قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد؛ إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول؛ قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه؛ إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد.

قال: وقد افتتن أيضًا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار علىٰ منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار. انتهىٰ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلىٰ الأشعري، ويتبرءون مما بنىٰ الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه. انتهىٰ «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٦٠٠)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٩٦).

٣- الشيخ العلامة أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي المتوفىٰ سنة ٥٥٠هـ:

فقد ألف كتابًا عظيمًا نافعًا سماه (منازل الأئمة الأربعة)، ذكر فيه عقائد الأئمة الأربعة، وبيَّن اتفاقهم في أصول الاعتقاد، وسرد المسائل في ذلك، وقد نصَّ في مقدمة كتابه أن سبب جمعه لذلك هو الرَّدُّ علىٰ الذين يزعمون أن بين هؤلاء الأئمة خلافًا في العقيدة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٥٤):... ثم يثيرون الفتن بين العوام، ويوقعون الخلاف بين الأنام، بتحريف مقالات أرباب المذاهب وأصحاب المناصب، ويخيلون إليهم أن بين الأئمة وفقهاء الأمة خلافًا في المعتقد والأصول، يطلبون بذلك إثارة الفضول؛ طلبًا للتقدم والرئاسة، وادعاءً







للفهم والكياسة، وتنافسًا علىٰ ازدحام الجهال عليهم، وتسوقًا عندهم لاجتذاب ما لديهم، حتىٰ تشوشت قلوب العوام، ووقع بينهم الخلاف بل القتال بما يوردونه من زخرف الكلام، وصارت طوائف الأنام من المتبعين في الفروع مذاهب الأئمة الأعلام الفقهاء السادة الكرام يلعن في الاعتقاد بعضهم بعضًا، ويبدي كلٌّ واحدٍ لصاحبه عداوة وبغضًا، ظنًّا منهم أنهم اختلفوا في الأصول حسب اختلافهم في الفروع؛ لقلة معرفتهم بأحوالهم، وعدم الوقوف علىٰ أقوالهم، لم يقرءوا العلم علىٰ انتقاد، ولم يطالعوا تصانيف الجهابذة العارفين بالانتقاد، بل تلقفوا من أفواه بعض المبتدعة كذبًا وباطلًا، وطالعوا من تصانيفهم ما يصير الإنسان به عن الصراط السوي عادلًا، ولم يعلموا أن الخلاف في التوحيد يؤدي إلىٰ الكفر والتلحيد، إنما الخلاف المحمود في فروع الشرع وفصوله، لا في قواعد أحكامه وأصوله. والفقهاء الأئمة الذين اشتهر عنهم في الفروع الاختيار، وظهر لهم الاجتهاد والاختبار، وكثر لهم الأتباع والأشياع، وحق علىٰ العوام لهم الاتباع، وتعطر بذكرهم الأقطار والأصقاع، وبرز في تمهيد أقوالهم الأصحاب من الحواضر والبوادي، وانعمرت بمناظرتهم المجالس والنوادي؛ أربعة: أبو حنيفة بالكوفة، ومالك بدار الهجرة، والشافعي بمكة حرم الله، وأحمد بمدينة السلام، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة منقلبهم ومقتضاهم.

فهم وإن اختلفت عنهم العبارات فقد اتفقت منهم الاعتقادات، كل واحد منهم مزكي الأمة وإمام الأئمة، محكم تعديله وجرحه، مسلم قبوله وطرحه، لا يخالف أحدهم صاحبه إلا في فرع مختلف فيه، لا يفسقه ولا يغويه، مثل لقطة






الحرام وتوريث ذوي الأرحام.

فأما الكلام في صفات ذي الجلال والإكرام، وما يتعلق بأسمائه الحسنىٰ وصفاته المباينة لصفات الأنام؛ فلا خلاف في ذلك بينهم، ولا يؤثر تفرق عنهم يوجب كذبهم ومينهم، بل كلمتهم فيها متفقة وأقوالهم متسقة، سلكوا سبيل الاتباع دون الابتداع فيما نقلوا عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ورووا، وتمسكوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]. انتهىٰ.










هل يصح نسبة كتاب «جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والصوت» إلى الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه كتبه قبل وفاته بأشهر ورجع فيه إلى عقيدة السلف الصالح ورجع عن التأويل؟

أقول ولا حول ولا قوة إلا بالله: وقفت علىٰ كتاب منسوب إلىٰ الإمام النووي بعنوان (جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات) بتحقيق علي الدمياطي، وتبيَّن لي بعد البحث والتمحيص أن الكتاب لا تصح نسبته إلىٰ الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأمور:

أولًا: لا يوجد ما يثبت صحة نسبة ذلك الكتاب إلىٰ الإمام النووي؛ فليس له إسناد، ولم يذكره أحد حسب علمي ممن ترجم للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيًا: لم أقف علىٰ كلام لأحد من المعتنين بعقيدة السلف وأئمة الإسلام في كتب العقائد والردود علىٰ المخالفين فيه تسمية لهذا الكتاب أو نسبته للإمام النووي.

ثالثًا: في مقدمة الكتاب المنسوب للإمام النووي ما يلي:

(وقسمته بحمد الله فصولًا مشتملة علىٰ فنون من القواعد ونفائس من العقائد، مما جمعته من كتب العلوم، ومما أودعته من كتابنا المعروف بكتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» وغير ذلك، وعلىٰ الله اعتمادي، وإليه تفويضي







واستنادي، اعتصمت بالله، توكلت علىٰ الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويشتمل هذا المختصر علىٰ قسمين:

القسم الأول: في ذكر ما ننقله عن الشيخ الجليل الإمام المتقن الحافظ الأوحد فخر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان بن الأرموي الشافعي رضي الله عنه فيما صنفه في كتابه الموسوم بـ«غاية المرام في مسألة الكلام».

والقسم الثاني: فيما وضعته في كتابنا الموسوم بكتاب «التبيان»). انتهىٰ.

ويلاحظ ما يلي:

١- قوله: وقسمته بحمد الله فصولًا مشتملة علىٰ فنون من العقائد... إلىٰ قوله: العلي العظيم. الناظر في الكتاب يجد أن جميع المنقولات من الفصول في القسم الأول - وهو الأكبر - إنما هي من كتاب «غاية المرام» فقط، ولا ذكر لكتابه «التبيان» فيه.

٢- كتاب التبيان غير مشتمل علىٰ فنون القواعد ونفائس العقائد؛ إذ ذلك ليس هو موضوع الكتاب، وفيه شيء يسير يتعلق بأن القرآن كلام الله.

٣- قوله: القسم الأول: في ذكر ما ننقله عن الشيخ الجليل الإمام المتقن الحافظ الأوحد فخر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان بن الأرموي الشافعي في كتابه الموسوم بـ«غاية المرام في مسألة الكلام».

وبعد البحث والتحري والتمحيص وتنويع طرق البحث؛ لم أقف علىٰ شخص بهذا الاسم، مع أن كتب التراجم والتواريخ والطبقات تعتني بمن هو دون هذا الوصف بمراحل، فكيف بمن وصف بالإمام المتقن الحافظ







الأوحد؟!

٤- لم أقف علىٰ من ذكر كتاب «غاية المرام في مسألة الكلام»، فلا وجود لهذا الكتاب حسب ما توصلت إليه من البحث عنه، ولم أقف علىٰ أحد من علماء الإسلام يذكر كتابًا بهذا الاسم.

٥- بحثت عن فقرات مما ورد في ذلك الكتاب في المكتبة الشاملة، لعلي أصل من خلال البحث بهذه الطريقة إلىٰ شيء، لكن دون جدوىٰ.

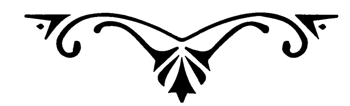
٦- من له خبرة في كلام الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسلوبه في الكتابة يكاد أن يجزم بعدم صحة ذلك الكتاب للإمام النووي؛ فهو من جهة أشبَه ما يكون بطريقة القص واللصق، ومن جهة أخرىٰ لا نجد للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أي تعليق أو إضافة أو شرح للفقرات التي ينقلها من كلام الأرموي أو بعضها، ولو كان الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بان له بالفعل صحة عقيدة السلف وبطلان ما كان عليه في باب الصفات؛ لسال قلمه في هذا، ولجاء بما يثلج الصدور ويشفي العليل ويروي الغليل، كعادته في كتبه في المسائل التي يوردها ويرىٰ الصواب في خلافها، مما هو دون هذه المسائل بمراحل، ولله في هذا حكمه، ومن خلال معرفة سيرة الإمام النووي وما كان عليه من الدين والرغبة فيما عند الله؛ فأكاد أجزم أنه لو وُفِّق له مَن يبيِّن له بطلان ما كان عليه لمَا تردد في تركه وتزييفه، وإعلان رجوعه عنه، ونصرته للحق وأهله، والرجل قد قدم علىٰ ما قدم، والواجب علينا التمسك بالعقيدة الصحيحة والدعوة إليها، وسؤال الله الثبات علىٰ ذلك حتىٰ نلقىٰ الله، و﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].






٧- ابن العطار لزم الإمام النووي نحو ست سنوات، وله فيه مزية، حتىٰ كان يلقب بمختصر النووي، وحفظ «التنبيه» بين يديه، وذكر أن الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمره بغسل عدد من كتبه، فلو كان يعلم لشيخه كتابًا بهذا العنوان لذكره أو أشار إليه في كتابه الذي أَلَّفَه في المعتقد بعنوان (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد)، مع أنه في ذلك الكتاب - أعني ابن العطار - لم يخرج عن أصول عقيدة الأشاعرة؛ فكل هذا مما يؤكد صحة ما ذهبت إليه، والله أعلم.





كلام عظيم للإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله عنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١٣/ ٥٠٧)، قال فيه

وكان مما أمر ﷺ بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئًا من أمور الدين أصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه، ثم لم يدع إلىٰ الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم، بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود علىٰ السلف بالطعن والقدح، ونسبتهم إلىٰ قلة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا وتجد لخصومهم عليه كلامًا يوازنه أو يقاربه؛ فكلٌّ بكل مقابَل، وبعضٌ ببعض معارَض، وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنَّا إذا جرينا علىٰ ما قالوه وألزمنا الناس بما ذكروه؛ لزم من ذلك تكفير العوام جميعًا لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم فضلًا عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين، والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة علىٰ وظائف العبادات،





وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشُّبَه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قُطِّعوا إربًا إربًا؛ فهنيئًا لهم هذا اليقين، وطوبىٰ لهم هذه السلامة، فإذا كفر هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمَّة فما هذا إلا طيُّ بساط الإسلام وهدم منار الدين، والله المستعان. انتهىٰ.





شبهة أن الأشاعرة هم أكثر علماء الأمة

هذه الشبهة أول من روج لها - فيما أعلم - هو ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تبيين كذب المفتري»، فبعد أن ترجم لأبي الحسن الأشعري قال (ص ١٧٧): باب ذكر جماعة من أعيان مشاهير أصحابه؛ إذ كان فضل المقتدي يدل علىٰ فضل المقتدىٰ به، وقد قسمتهم خمس طبقات وجدتها علىٰ تصحيح قوله متفقات؛ فالطبقة الأولىٰ هم أصحابه الذين أخذوا عنه ومن أدركه ممن قال بقوله أو تعلم منه... فذكر جمعًا منهم.

ثم قال بعد أن أطال في ذكرهم وأطنب في مدحهم - ص (٣٣٠) -: فهذا آخر ما يسَّر الله عَزَّوَجَلَّ لي ذكرُه ممن اشتهر من العلماء من أصحابه وشرحت أمره، ومن لم أذكر منهم أكثر ممن ذكرت، والمقصود منه إظهار فضله بفضل أصحابه كما أشرت، ولولا خوفي من الإملال للإسهاب وإيثاري الاختصار لهذا الكتاب؛ لتتبعت ذكر جميع الأصحاب وأطنبت في مدحهم غاية الإطناب، وكنت أكون بعد بذل الجهد فيه مقصرًا، ومن تقصيري بالإخلال بذكر كثير منهم معتذرًا، فكما لا يمكنني إحصاء نجوم السماء كذلك لا أتمكن من استقصاء ذكر جميع العلماء مع تقادم الأزمان والأعصار، وكثرة المشتهرين في البلدان والأمصار، وانتشارهم في الأقطار والآفاق من المغرب والشام وخراسان




والعراق؛ فاقنعوا من ذكر حزبه بمن سُمِّي ووُصِف، واعرفوا فضل من لم يسَمَّ لكم بمن سُمِّي وعُرف، ولا تسأموا أن مُدِح الأعيان وقُرِض الأئمة؛ فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. انتهىٰ.

والجواب علىٰ هذه الشبهة من وجوه:

أولًا: أن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ممن تبعهم بإحسان إلىٰ عصر أبي الحسن الأشعري؛ لم يكونوا يؤولون الصفات، ولا خاضوا في باب القدر والإيمان وغيرهما بالباطل، ولم يكونوا يبنون عقيدتهم علىٰ علم الكلام الذي لم يعرف إلا بعد القرون المفضلة، وأعداد هؤلاء ألوف مؤلفة.

ثانيًا: أن أبا الحسن الأشعري قد رجع في آخر أمره إلىٰ عقيدة السلف التي كان عليها الإمام أحمد، كما سبق بيانه في ترجمته.

ثالثًا: لا نسلِّم لابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكل من ذكر أنهم علىٰ طريقة أهل الكلام التي كان عليها أبو الحسن الأشعري - لو سلمنا جدلًا أنه بقي علىٰ تلك العقيدة ولم يرجع عنها كما سبق بيانه -، فقد ذكر العلامة جمال الدين الصالحي يوسف بن عبد الهادي (المتوفىٰ سنة ٩٠٩هـ) في كتابه العظيم «جمع الجيوش والدساكر علىٰ ابن عساكر» عددًا كبيرًا ممن ذكرهم ابن عساكر، وأنهم لم يكونوا علىٰ عقيدة الأشاعرة، بل كانوا ذامين لها مخالفين لها ولأهلها.

رابعًا: أن أكثر علماء الأمة الربانيين المعروفين - وهم ألوف - علىٰ غير عقيدة أبي الحسن الأشعري التي رجع عنها، فقد عد الصالحي في «جمع الجيوش والدساكر» منهم أضعافَ أضعاف ما عد ابن عساكر، بدأهم بالإمام البربهاري، وختمهم بالعلامة المرداوي صاحب كتاب «الإنصاف»، ثم قال (ص






١٥١): وقد رأينا في أصحابنا ورفقائنا ومن اشتغل معنا أكثر من ألف واحد علىٰ مجانبتهم ومفارقتهم، والوقوع فيهم، وما تركنا ممن تقدم أكثرُ ممن ذكرنا؛ فهذه لعمرك الدساكر، لا العسكر الملفق الذي لفقه ابن عساكر بالصدق والكذب، الذين لا يبلغون خمسين نفسًا بمن قد كذب عليهم، ولو نطول تراجم هؤلاء كما قد أطال في أولئك لكان هذا الكتاب أكثر من عشر مجلدات، ووالله ثم والله لَمَا تركنا أكثرُ ممن ذكرنا، ولو ذهبنا نستقصي ونتتبع كُلَّ من جانبهم من يومهم إلىٰ الآن لزادوا علىٰ عشرة آلاف نفس. انتهىٰ.

خامسًا: قد اعترف ابن عساكر نفسه بأن الجم الغفير والسواد الأعظم في سائر الأزمان وجميع البلدان بعد الأشعري لا يقتدون به، ولا يرون مذهبه، فقد قال في كتابه «تبيين كذب المفتري» ص (٣٣١): فإن قيل: إن الجم الغفير في سائر الأزمان وأكثر العامة في جميع البلدان لا يقتدون بالأشعري ولا يقلدونه، ولا يرون مذهبه ولا يعتقدونه، وهم السواد الأعظم وسبيلهم السبيل الأقوم؛ قيل: لا عبرة بكثرة العوام، ولا التفات إلىٰ الجهال الغتام، وإنما الاعتبار بأرباب العلم، والاقتداء بأصحاب البصيرة والفهم، وأولئك في أصحابه أكثر ممن سواهم، ولهم الفضل والتقدم علىٰ من عداهم، علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وقال عز من قائل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر فيما قرأته عليه عن أبي بكر أحمد بن الحسين الحافظ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا إسحاق المزكي يقول: حدثني أبو







القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الواعظ، قال: حدثنا محمد بن أبي حمزة المرزوي، عن أحمد بن أيوب المطوعي، قال: قال الحسن بن زياد كلمة سمعتها من الفضيل بن عياض، قال الفضيل: لا تستوحش طرق الهدىٰ لقلة أهلها، ولا تغترن بكثرة الهالكين. فمن ذم بعد وقوفه علىٰ كتابي هذا حزب الأشعري؛ فهو مفتر كذاب، عليه ما علىٰ المفتري. انتهىٰ.

أقول وبالله التوفيق:

١- كيف يكون كذابًا مفتريًا من ذم حزب الأشعري الذين خالفوا الأشعري في عقيدته الصحيحة التي رجع إليها عقيدة السلف الصالح؟!

٢- كيف يكون كذابًا مفتريًا من ذم أهل البدع والأهواء الذين قالوا في الله وفي دينه خلاف الحق، وعطلوا أكثر صفات الله، وتركوا الكتاب والسنَّة وما كان عليه السلف الصالح، وأخذوا بعلم الكلام الذي أورث أهله الشك والحيرة والجهل والندم؟!

٣- كيف يكون كذابًا مفتريًا من أقام البراهين علىٰ أن أهل السنة والجماعة المتبعين للصحابة والتابعين لهم بإحسان أسعَدُ بالمنقول والمعقول، وقد رجع إلىٰ ما هم عليه أبو الحسن الأشعري في آخر أمره، ومعهم أيضًا كبار علماء الأمة الراسخين الربانيين؟!

٤- لو سلمنا جدلًا أن أكثر العلماء علىٰ طريقة الأشعري التي رجع عنها؛ فجوابنا ما أجاب به ابن عساكر من ذم الله للكثرة حين تكون علىٰ الباطل.

ونقول أيضًا: إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما يُعرف الرجال بالحق، وإن الإجماع والحُجَّة والسواد الأعظم ما وافق الحَقَّ ولو كنت وحدك وخالفك أهل





الأرض.

قال العلامة المحقق الكبير ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ٣٠٧- ٣٠٨): ولا يوحشنك من قد أقر علىٰ نفسه هو وجميع أهل العلم أنه ليس من أولي العلم، فإذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل، محكم له، متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان؛ زالت الوحشة، وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم يخالفك بلا حُجَّة، ويكفِّرك أو يبدِّعك بلا حُجَّة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب؛ فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم.

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالِمُ صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذًا باليمن، فما فارقته حتىٰ واريته في التراب بالشام، ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة. ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سيولىٰ عليكم ولاة يؤخِّرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة. قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي: صلِّ الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور









الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحَقَّ وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب علىٰ فخذي وقال: ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالىٰ.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكرها البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟

هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه.

فمُسِخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحُجَّة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارًا علىٰ السنَّة، وجعلوا السنَّة بدعةً، والمعروف منكرًا؛ لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ شذ الله به في النار. وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدًا منهم فهم الشاذون.

وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم علىٰ الباطل وأحمد وحده هو علىٰ الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة،



وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتىٰ يلقوا ربهم، مضىٰ عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهىٰ.

وللعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام عظيم حول ما سبق، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ» ص (٧٩- ٩٣): إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات، فكيف يكون مذهبهم باطلًا وقد قيل: إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟!

وكيف يكون باطلًا وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟!

وكيف يكون باطلًا وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم؟!

قلنا: الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين؛ فإن هذه دعوىٰ تحتاج إلىٰ إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلَّمنَا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ؛ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول: إن إجماع المسلمين قديمًا ثابت علىٰ خلاف ما كان عليه أهل التأويل؛ فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الهدىٰ من بعدهم؛ كانوا مجمعين علىٰ







إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص علىٰ ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنصِّ الرسول ﷺ، وإجماعهم حُجَّة ملزمة؛ لأنه مقتضىٰ الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولىٰ: مرحلة الاعتزال.

اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عامًا، يقرره، ويناظر عليه، ثم رجع عنه، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة.

سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، قال شيخ الإسلام






ابن تيمية (ص ٤٧١) من المجلد السادس عشر من «مجموع الفتاوىٰ» لابن قاسم: والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلامًا صحيحًا، ومن هؤلاء أصولًا عقلية ظنوها صحيحة، وهي فاسدة. اهـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث.

مقتديًا بالإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما قرره في كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة»، وهو من آخر كتبه أو آخرها.

قال في مقدمته: «جاءنا - يعني النبي ﷺ - بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين؛ فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوىٰ، وفي الجهل تردىٰ.

وحث الله في كتابه علىٰ التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. إلىٰ أن قال: فأمرهم بطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلىٰ التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه؛ فنبذ كثير ممن غلبت شقوته واستحوذ عليهم الشيطان سننَ نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، وعدلوا إلىٰ أسلاف لهم قلدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سننَ رسول الله ﷺ، ورفضوها، وأنكروها وجحدوها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصولًا من أصول المبتدعة وأشار إلىٰ بطلانها، ثم قال: فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.






قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسُّك بكتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ، وبسنَّة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل. ثم أثنىٰ عليه بما أظهر الله علىٰ يده من الحق، وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حـي علـيم قـدير والكـلام لـه ... إرادة وكـذاك السـمع والبصـر

علىٰ خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها.

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية - ص (٣٥٩) من المجلد السادس من «مجموع الفتاوىٰ» لابن قاسم - قال: ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأما من قال منهم بكتاب «الإبانة» الذي صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالةً تناقض ذلك؛ فهذا يعد من أهل السنَّة.

وقال **قبل ذلك في** (ص ٣١٠): وأما الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وكلامه معنًىٰ واحد، ومعنىٰ آية الكرسي وآية الدين والتوراة والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة.






اهـ.

وقال تلميذه ابن القيم في «النونية»، ص (٣١٢) من شرح الهراس، ط. الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الـ	ـطريق المستقيم لمن له عينان

إلىٰ أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا	كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولىٰ من سوا	ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا	ومعناهما عجبًا لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان» (ص ٣١٩، ج ٢) علىٰ تفسير آية استواء الله تعالىٰ علىٰ عرشه، التي في سورة الأعراف: (اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصىٰ كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلىٰ الفهم من معنىٰ الاستواء واليد مثلًا في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعًا)، قال: ولا يخفي علىٰ أدنىٰ عاقل أن حقيقة معنىٰ هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلىٰ الفهم الكفر بالله تعالىٰ، والقول فيه بما لا يليق به عز وعلا. والنبي ﷺ الذي قيل له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] لم يبيِّن حرفًا واحدًا من ذلك، مع إجماع من يعتد به من العلماء علىٰ أنه - ﷺ - لا يجوز في حقِّه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرىٰ في العقائد، لا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتىٰ






جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق علىٰ نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه. وكل هذا من تلقاء أنفسهم، من غير اعتماد علىٰ كتاب أو سُنَّة، سبحانك هذا بهتان عظيم!

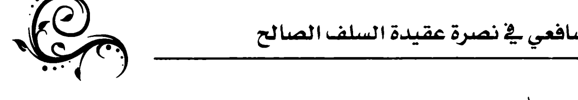
ولا يخفي أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

والحق الذي لا يشك فيه أدنىٰ عاقل أن كلَّ وصفٍ وَصَف الله به نفسَه، أو وصَفَه به رسوله ﷺ؛ فالظاهر المتبادر منه السابق إلىٰ فهم مَن في قلبه شيء من الإيمان: هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث، قال: وهل ينكر عاقل أن السابقَ إلىٰ الفهم المتبادرَ لكل عاقل هو منافاةُ الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا، والله لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، إنما جَرَّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق؛ فأداه شؤم التشبيه إلىٰ نفي صفات الله جل وعلا وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وَصَف بها نفسَه؛ فكان هذا الجاهل مشبهًا أولًا، ومعطلًا ثانيًا؛ فارتكب ما لا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً، ولو كان قلبه عارفًا بالله كما ينبغي، معظمًا لله كما ينبغي، طاهرًا من أقذار التشبيه؛ لكان المتبادر عنده السابق إلىٰ فهمه أن وصف الله تعالىٰ بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهامَ علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدًّا للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق،







علىٰ نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأشعري أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان في آخر عمره علىٰ مذهب أهل السنة والحديث، وهو إثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومذهب الإنسان ما قاله أخيرًا إذا صرح بحصر قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يعلم من كلامه في «الإبانة».

وعلىٰ هذا: فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيرًا، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنَّة؛ لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه.

والجواب عن السؤال الثالث من وجهين:

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق. هذا هو الميزان الصحيح، وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال؛ فإن الإنسان بشر يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل دينًا وذا خلق، ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ علىٰ طريق معين، أو مذهب معين، لا يكاد يعرف غيره، فيظن أن الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك.



الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين علىٰ طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم




علىٰ طريق السلف؛ وجدنا في هذه الطريق من هم أَجَلُّ وأعظم وأهدىٰ وأقوم من الذين علىٰ طريق الأشاعرة؛ فالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ليسوا علىٰ طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلىٰ من فوقهم من التابعين لم تجدهم علىٰ طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلىٰ عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين؛ لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلىٰ الأشعري قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالىٰ وبسنة رسوله ﷺ روايةً ودرايةً، والحرص علىٰ نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده؛ لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضًا أن لبعضهم قصدًا حسنًا فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بد أن يكون موافقًا لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن كان مخالفًا لها وجب رده علىٰ قائله كائنًا من كان؛ لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

ثم إن كان قائله معروفًا بالنصيحة والصدق في طلب الحق؛ اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتفكير والتفسيق ليس إلينا، بل هو إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله






ﷺ؛ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلىٰ الكتاب والسنة، فيجب التثبُّتُ فيه غاية التثبت؛ فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة علىٰ كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهرِ العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته، حتىٰ يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضىٰ الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب علىٰ الله تعالىٰ في الحكم، وعلىٰ المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه، ففي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**إذا كَفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»، وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك؛ إلا حار عليه**».

وعلىٰ هذا فيجب قبل الحكم علىٰ المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة علىٰ أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم علىٰ القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط: أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرًا أو فاسقًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ






ﵟٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًاﵞ [النساء: ١١٥]، وقوله: ﵟوَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖﵞ [التوبة: ١١٥، ١١٦].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتىٰ يبين له.

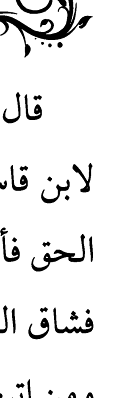
ومن الموانع: أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، ولذلك صور:

منها: أن يُكرَه علىٰ ذلك، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئنانًا به، فلا يكفر حينئذ؛ لقوله تعالىٰ: ﵟمَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞﵞ [النحل: ١٠٦].

ومنها: أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول؛ لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان علىٰ راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتىٰ شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٨٠، ج ١٢) «مجموع الفتاوىٰ» لابن قاسم: «وأما التكفير، فالصواب: أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ؛ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبيَّن له ما جاء به الرسول ﷺ، فشاق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ فهو كافر. ومن اتبع هواه، وقصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم؛ فهو عاص مذنب. ثم قد يكون فاسقًا، وقد يكون له حسنات ترجح علىٰ سيئاته» اهـ.

وقال في (ص ٢٢٩، ج ٣) من المجموع المذكور في كلام له: هذا مع أني دائمًا - ومن جالسني يعلم ذلك مني - أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرىٰ، وعاصيًا أخرىٰ، وأني أقرر: أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم علىٰ أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية. وذكر أمثلة، ثم قال: وكنت أبيِّن أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا؛ فهو أيضًا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. إلىٰ أن قال: والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتىٰ تقوم عليه الحُجَّة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئًا.








وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. ففعلوا به ذلك، فقال الله: ما حملك علىٰ ما فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر له».

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلًا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه؛ فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص علىٰ متابعة الرسول ﷺ أولىٰ بالمغفرة من مثل هذا. اهـ.

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقًا أو كفرًا يحكم علىٰ قائله أو فاعله بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٦٥، ج ٣٥) «مجموع الفتاوىٰ»: وأصل ذلك: أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال: هي كفر قولًا يطلق، كما دل علىٰ ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ﷺ، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتىٰ يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال؛ لقرب عهده بالإسلام، أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلامًا أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن، ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتىٰ يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها، إلىٰ أن قال: فإن هؤلاء لا يكفرون






حتىٰ تقوم عليهم الحُجَّة بالرسالة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقد عفا الله لهذه الأمَّة عن الخطأ والنسيان. اهـ كلامه.

وبهذا عُلم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفرًا أو فسقًا، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرًا أو فاسقًا؛ إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق، أو وجود مانع شرعي يمنع منه.

ومن تبيَّن له الحق فأصَرَّ علىٰ مخالفته تبعًا لاعتقاد كان يعتقده، أو متبوع كان يعظمه، أو دنيا كان يؤثرها؛ فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق.

فعلىٰ المؤمن أن يبني معتقده وعمله علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إمامًا له، يستضيء بنورهما ويسير علىٰ منهاجهما؛ فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالىٰ به في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله علىٰ مذهب معين، فإذا رأىٰ نصوص الكتاب والسنة علىٰ خلافه حاول صرف هذه النصوص إلىٰ ما يوافق ذلك المذهب علىٰ وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إمامًا لا تابعًا، وهذه طريق من طرق أصحاب الهوىٰ لا أتباع الهدىٰ، وقد ذم الله هذه الطريق في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم






مُّعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرىٰ العجب العجاب، ويعرف شدة افتقاره إلىٰ اللجوء إلىٰ ربه في سؤال الهداية والثبات علىٰ الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالىٰ بصدق وافتقار إليه، عالمًا بغنىٰ ربه عنه وافتقاره هو إلىٰ ربه؛ فهو حريٌّ أن يستجيب الله تعالىٰ سؤلَه، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فنسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا ممن رأىٰ الحق حقًّا واتبعه، ورأىٰ الباطل باطلًا واجتنبه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصلحاء مصلحين، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمةً إنه هو الوهاب.

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

والصلاة والسلام علىٰ نبي الرحمة، وهادي الأمة إلىٰ صراط العزيز الحميد بإذن ربهم، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. انتهىٰ.

وأختم هذا الكتاب بأبيات عظيمة للإمام الحافظ، محدث واسط، أبي الكرم خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسن الواسطي الحوزي، المتوفىٰ سنة ٥١٠هـ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما نقل ذلك عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تاريخ الإسلام» (١١/ ١٣٥):





إذا مـــا تعلـــق بالأشـــعري	أنـــاس، وقـــالوا: وثيـــق العـرىٰ
وطائفـــــة رأت الاعتـــــزال	صـــوابًا، ومـــا هـــو فيمـــا تـــرىٰ
وأخـــرىٰ روافـــض لا تســـتحق	إذا ذكـــر النـــاس أن تـــذكرا
فـــنحن معاشـــر أهـــل الحـــديث	علقنـــا بأذيـــال خيـــر الـــورىٰ
فمـــن لـــم يكـــن دأبـــه دأبنـــا	فـــنحن وأحمـــد منـــه بـــرا

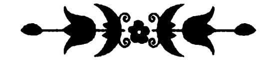
انتهىٰ.

وبهذا أكون قد انتهيت من هذا الكتاب الذي أرجو ذخره وثوابه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

تـــم الكتـــاب وربنـــا المحمـــود	ولـــه المكـــارم والعـــلا والجـــود
ثـــم الصـــلاة علـــىٰ النبـــي محمـــد	مـــا نـــاح قمـــري وأورق عـــود

فرغ منه في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر لسنة ١٤٤١هـ

دار الحديث ببعدان – إب – اليمن السعيد






الفهرس















